محاضرات في السير والتراجم
طلاب الماجستير
طرائق تدريس التاريخ

اعداد الأستاذ الدكتور
محمود فياض حمادي الزوبعي

المحاضرة الاولى

ابن عساكر وسيرته العلمية

أولاً . اسمه ونسبه ولقبه وكنيته :

هو علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين ، لقب بالدمشقي الشافعي ، ويكنى بأبي القاسم ، وذاعت شهرته بابن عساكر ولم يكن يعرف بها في أيام حياته غير أن ابن الجوزي يقول : " ليس هذا الاسم في نسبه من قبل الأب ولعله من جهة والدته ، وقد ذكر أن ابن عساكر لم يكن معروفاً بهذه الشهرة في حياته إذ قال : " وقد ذاع صيته بتلك التسمية في الكتب والسماعات بعد وفاته " ، ويقول السبكي : " ولا يعلم احد من أجداده يسمى عساكر ، وإنما هو اشتهر بذلك " ، وذكر صلاح الدين المنجد أن ابن عساكر لم يكن معروفاً بهذه الشهرة ، وهو على قيد الحياة ، وإن كتابه تاريخ دمشق ليس عليه اسم شهرة ابن عساكر ، وإنما وجد اسمه عليه (علي بن هبة الله الشافعي) ، إذ إن معظم مؤلفاته خلال حياته لا يوجد عليها غير اسمه ، كما إن صديقه ابن السمعاني الذي رافقه في بعض رحلاته العلمية كان يكنى بأبي القاسم الدمشقي ، فضلاً عن أن الذين نقلوا وأخذوا عنه وعن ابنه القاسم ، لم يذكروا هذه الشهرة ومنهم ابنه القاسم ، وقد ذاع صيته بتلك الشهرة في الكتب والسماعات بعد وفاته .

ثانياً . مولده ونشأته :

في شهر محرم سنة (٤٩٩هـ/١١٠٥م) ولد ابن عساكر ، حيث نشاء وترعرع في ظل أسرة محبة للعلم والعلماء حتى عرفت بنهجها العلمي واتخاذها البحث طريقاً وسبيلاً ، وبرز منهم الكثير من المحدثين والعلماء الذين كان لهم الشأن العظيم في تلك الحقبة (القرن السادس الهجري) ، واشتهر هؤلاء بالحديث وكان لهم دور كبير في توجيه ابن عساكر منذ طفولته توجيهاً علمياً صحيحاً ، إذ سمع ابن عساكر الحديث منذ صغره ، وكان أول هؤلاء المحدثين والده الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين أبو القاسم بن أبي محمد بن أبي الحسن بن أبي علي (ت٥١٩هـ/١١٢٥م) وقد كان عالماً فقيهاَ محدثاً وشيخاً صالحاً عدلاً كان مصاحباً لصديقه الفقيه نصر الدين المقدسي الذي سمع منه صحيح البخاري وأشاد به ، وصحب ابن عساكر جده لأمه القاضي أبا الفضل عيسى بن علي القرشي ، وسمع الحديث من أخيه الصائن بن هبة الله (ت٥٦٣هـ/١١٦٧هـ) المعروف بعلمه وتقواه قرأ عليه القراءات السبع ، كما قرأ عليه الفقه ومسائل الخلاف

وعلوم القرآن الكريم والنحو والبلاغة واللغة[١] ، وأخيه الأخر محمد بن الحسن بن هبة الله[٢] ، ودرس على يد خاليه اللذين كان لهما إطلاع واسع بالعلم والحديث والفقه ، فكان خاله منتجب الدين محمد بن يحيى (ت٥٣٩هـ/١١٤٤م) والذي طلب العلم والفقه على يد شيخه ، كان ينوب عن والده في القضاء ، إذ وصفه أصحاب التراجم انه نزيه عفيف صلبٌ في أحكامه[٣] ، كذلك خاله الآخر أبو المكارم سلطان بن يحيى (ت٥٣٠هـ/١١٣٥م) الذي رحل إلى العراق ومصر طلباً للعلم والتفقه ، وعاد إلى دياره دمشق لتولي القضاء نيابة عن أبيه[٤] .

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أن ابن عساكر قد نشأ في بيئة علمية مهتمة بالعلم ، إذ كان معظم أفرادها من العلماء ومحبي العلم ورواده ، إذ طرق أبواب العلم والعلماء وتشبث في كل مضمار يهديه إلى سبيل العلم ونبيله ، فأصبح من بين أهل الشأن ومن العلماء الأعلام في بلاد الشام وبلدان العالم الإسلامي عامة ، حيث كانت بداية تعلمه

---

(٣) ابن شاكر ، محمد بن شاكر بن احمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون الكتبي (ت ، ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) ، فوات الوفيات ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٧٤م) ، ج٤ ، ص٢٣٥-٢٣٦ ؛ الاسنوي ، جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسين (ت ، ٧٧٢هـ/١٣٧١م) ، طبقات الشافعية ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٧٨م) ، ج٢ ، ص٩٥ .

(٤) الخوارزمي ، أبو المؤيد محمد بن محمود بن محمد (ت ، ٦٦٥هـ/١٢٦٦م) ، جامع مسانيد الإمام الأعظم ، مطبعة مجلس دائرة المعارف ، (حيدر آباد الدكن ، ١٩٢٤م) ، ص٥٣٩ ؛ السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ، ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، تحقيق : فرانز روزنثال ، ترجمة : احمد صالح العلي ، مطبعة العاني ، (بغداد ، ١٣٨٢هـ) ، ص٦٦٠ ؛ بدران ، عبد القادر بن احمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد (ت ، ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م) ، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، ط٢ ، (بيروت ، ١٩٨٥م) ، ص٣٦٧ .

(٥) ابن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص١٠٥ .

(٦) احمد ، المسجد الأموي بدمشق بين الحقيقة والأسطورة ، ص١٥٦ ؛ الاسدي ، سالي علي بدر ، الحياة العلمية في دمشق في عهد نور الدين محمود من خلال كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٤٩-٥٦٩هـ/١١٤٥-١١٧٤م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٥م ، ص١٦ .

في دمشق على يد أفراد أسرته الذين كانوا هم شيوخه الأوائل وشيوخ عصره ، إذ نشأ أبو القاسم بن عساكر في تلك الأسرة العربية والتي رفعت لواء العلم في تأدية الدور الريادي خدمة للأمة الإسلامية لاسيما وإن هذه الأسرة اشتهرت كما بينا بالحديث والفقه واللغة والنحو وقراءة القرآن الكريم ، وكان من بين أفراد هذه الأسرة كبار علماء دمشق ، فهذا هو حال ابن عساكر الذي أصبح في طليعة علماء وأدباء تلك الحقبة الزمنية ، إذ بدء تعليمه في السن السادسة من عمره ، هذا على عاتقه تعلم العلوم من مصادرها ليكون تراثاً علمياً كبيراً يجعله من كبار العلماء والأدباء في ذلك العصر[١] .

ومن جانب آخر يمكننا القول بأن دمشق كانت عاصمة للخلافة الإسلامية ردحاً من الزمن حتى قال عنها السخاوي : " كانت دار قرآن وحديث وفقه "[٢] ، قصدها العلماء والأدباء من كل حدباً وصوب حتى أصبحت مركز إشعاع فكري وحضاري ، بزغ من رجمها العديد من العلماء والأدباء ممن كان لهم دور كبير في تنشأة أجيال أخذت على عاتقها حمل التراث العربي الإسلامي إلى جميع الأقطار العربية والإسلامية ، حتى غدة هناك أُسر متخصصة في شتى ضروب العلم والمعرفة ، وهذا ما كانت عليه أسرة الحافظ ابن عساكر .

ثالثاً . زواجه :

تزوج ابن عساكر من عائشة بنت علي بن الخضر بن عبد الله المعروف والدها بأبي الحسن بن المحل البزاز ، وهي بنت خاله الكبرى وأم أولاده ولم يتزوج غيرها ، تكنى بأم القاسم ولده المشهور به ، سمعت الحديث عن فاطمة العكبرية وهي أم البهاء فاطمة بنت محمد بن أبي سعد البغدادي شيخة عالمة واعظة صالحة معمرة ولدت سنة (٤٤٠هـ/١٠٤٨م) ، وسمعت من احمد بن محمد والثقفي ، وكانت ممن حدث عنها ابن عساكر ، وفاتها في رمضان سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م) ، وكانت قد سمع منها أولادها في دارها[٣] .

رابعاً . أبنائه :

---

(١) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ، ٩١١هـ/١٥٠٦م) ، طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، د.ت) ، ص٤٧٥ .

(٢) السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، ص٦٦٠ .

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص١٤٨ .

من أبناء ابن عساكر الذي اشتهر منهم ولده الأكبر القاسم ، ناقله الوحيد والذي كتب تراث والده ابن عساكر من بعده ، كانت ولادته سنة (٥٢٧هـ/١١٣٢م) في دمشق وتتلمذ على يد والده[١] ، سمع القاسم بدمشق من أبي الحسن السلمي احمد بن يوسف ابن خالة لأم الحافظ محدث نيسابور الذي كتب (١٣٠) الف حديث عن عبد الله بن موسى مات وعمره (٨٢) سنة[٢] ، ونصر الله المصيصي أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوي الأصولي ، ولد سنة (٤٤٨هـ/١٠٩٥م) باللاذقية ، ونزل دمشق ، كان فقيهاً متكلماً مفتياً ، تكلم بالأصول وفروعها ، مات سنة (٥٤٢هـ/١١٤٧م)[٣] ، وكذلك سمع من القاضي أبي المعالي محمد بن يحيى القرشي (ت٥٧٣هـ/١٣٣٥م)[٤] ، وغيرهم خلقٌ كثير ممن سمع وتتلمذ على أيديهم ، وأجازه أكثر شيوخ والده ، كتب الكثير حتى انه كتب تاريخ والده مرتين وقد حفظه ، وألف كتاب (فضل المدينة) وكتاب (فضل المسجد الأقصى) ، وصنف كتاباً في الجهاد ، وكتاباً في أخبار والده ، وأملى مجالس وخرج لنفسه الإبدال العالية نقاها من مصنف والده ، وكان قد تولى مشيخة الديار النورية بعد أبيه إلى أن مات سنة (٦٠٠هـ/١٢٠٣م) ، وممن روى عن القاسم أبو المواهب الحسن بن العدل أبي اليدكان هبة الله بن محفوظ بن صصري الدمشقي الشافعي (ت٥٨٦هـ/١١٩٠م) فكان اكبر شيخ لأزمه مات وعمره تسع وأربعون سنة[٥] ، وكذلك الشيخ عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي السلمي[٦] ، وكان شيخاً عالماً ورعاً زاهداً آمراً بالمعروف

---

(٢) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج٨ ، ص١٥٧ .

(٣) الذهبي ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، تحقيق : محمد عوامة ، دار الثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو ، ط١ ، (جدة ، ١٩٩٢م) ، ج٢ ، ص٥٦٥ .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج١٠ ، ص١٢٩ ؛ ابن الأثير ، أبو الحسن بن أبي الكرم علي بن محمد (ت،٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، (بيروت،١٩٨٠م) ، ج٣ ، ص٢٢١ .

(١) اليافعي ، أبو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان المكي (ت ، ٧٦٨هـ/١٣٣٥م) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يتبعه من حوادث الزمان ، ط٢ ، مؤسسة الاعلمي ، (بيروت ، ١٩٧٠م) ، ج٣ ، ص٢٠٥ ؛ ابن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص١١٦ .

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٢ ، ص٤٦٢ .

(٣) ابن الصلاح ، تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (ت،٦٤٣هـ/١٢٤٥م) ، مقدمة ابن الصلاح ، تحقيق : محي الدين علي نجيب ، دار البشائر الإسلامية ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٩٢م) ، ج١ ، ص٢٦٧ .

وناهياً عن المنكر قرأ الفقه على ابن عساكر ، والأصول على الشيخ الآمدي ، ولي خطابة دمشق ، ثم انتقل إلى مصر وولي خطابة الجامع العتيق[١] والقضاء ، واستقر بتدريس الصالحية[٢] بالقاهرة إلى أن مات سنة (٦٦٠هـ/١٢٦١م)[٣] ، والتاج عبد الوهاب بن زين الأمناء أبي البركات الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله تاج الدين أبو الحسن بن عساكر الدمشقي الشافعي ، والد الشيخ أمين الدين عبد الصمد ، وكانت ولادته سنة (٥٩١هـ/١١٩٤م) ، سمع الكثير من الخشوعي والقاسم بن الحافظ ، ولي مشيخة دار الحديث النورية[٤] بعد والده ، وحضره لما جلس الأكابر والحفاظ ، روى عنه العلامة تاج الدين وأخوه الخطيب شرف الدين ، وكانت وفاته في الحادي عشر من جمادي الأولى[٥] ، وكذلك روى عنه عبد الغني بن بثين القنالي الشيخ المسند أبو القاسم الشافعي الناسخ ، ولد سنة (٥٧٥هـ/١١٨١م) ، سمع الكثير بإفادة والده أبي الربيع ، فسمع من أبي القبائل عشير الجيلي وقاسم بن إبراهيم المقدسي والقاسم بن عساكر ،

---

(٤) الجامع العتيق : بمدينة فسطاط مصر ، ويقال له : تاج الجوامع وجامع عمرو بن العاص ، وهو أول مسجد أسس بديار مصر في الملة الإسلامية بعد الفتح . المقريزي ، تقي الدين احمد بن احمد بن علي (ت ، ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (بيروت ، ١٤١٨هـ) ، ج٤ ، ص٥ .

(٥) المدرسة الصالحية : هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة كان موضعها من جملة القصر الكبير الشرقي فبنى فيه المالك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب هاتين المدرستين ، فابتدأ بهدم موضع هذه المدارس في قطعة من القصر في ثالث عشر ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وستمائة ودك أساس المدارس في رابع عشر ربيع الآخر سنة أربعين ، ورتب فيها دروساً أربعة للفقهاء المنتجبين الى المذاهب الأربعة في سنة إحدى وأربعين وستمائة ، وهو أول من عمل بديار مصر دروساً أربعة في مكان ، وأول من درس بها من الحنابلة قاضي القضاة شمس الدين أبو بكر محمد بن العماد إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الحنبلي الصالحي . المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ج٤ ، ص٢١٧ .

(١) ابن الصلاح ، مقدمة ابن الصلاح ، ج١ ، ص٢٦٧ .

(٢) دار الحديث النورية : هي بسوق العصرونية من الجانب القبلي بين دار الحديث الشرفية والمدرسة العصرونية أمام العادلية الصغرى يفصل بينهما الطريق ، وهذه تقلبت بها الأيام والدهور فأصابها قريب مما أصاب دار الحديث الاشرفية فصارت دار للسكن وطمس محراب مسجدها وطمرت بركة مائها لتتغير رسومها ، فأنقذها الشيخ عبد القادر الخطيب وجلس يقرئ بها الدروس فجزاه الله خيراً . بدران ، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ، ص٣٦٨ .

(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٤٨ ، ص٤١٩ .

توفي أبو القاسم في الثالث من ربيع الأول سنة (٦٦١هـ/١٢٦٢م)[١] ، فقد كان محدثاً متوسط المعرفة مكرماً للغرباء له أُنسة بالحديث ، وكان خطه ضعيفاً رديئاً ، وثقه ابن نقطة وقال : خطه لا يشبه خط أهل الضبط ، وقال الحافظ عبد الرحمن بن مقرن : حدثني المحدث بدء الحنفي قال : قرأنا على القاسم بن عساكر ، حدثنا ابن لهيعة فرد بالضم فراجعته فلم يرجع ، قلت : من ضم مثل هذا ضمه إلى الشيوخ لا إلى الحفاظ ولكن بقيت الحافظ لقباً له ، توفي في دمشق سنة (٦٠٠هـ/١٢٠٣م) ، ودفن في الباب الصغير[٢] .

خامساً . وفاته :

في الحادي عشر من رجب ليلة الاثنين سنة إحدى وسبعين وخمسمائة (٥٧١هـ/١١٧٥م)[٣] ، كما قال ولده القاسم بن عساكر ، ودفن في مقبرة الباب الصغير عند أبيه شرقي الحجرة التي فيها معاوية بن أبي سفيان[٤] ، بعد أن بلغ من العمر اثنين وسبعين عاماً وستة أشهر وعشرة أيام ، وحضر جنازته صلاح الدين الأيوبي وصلى عليه في الجامع الأموي بدمشق وشهد دفنه[٥] ، وقيل : صلى عليه القطب النيسابوري[٦] النيسابوري[٦] ، وهكذا انقضت حياة الحافظ ابن عساكر التي كانت مليئة بالتأليف والعلم ، وقد كتب الكثير من التأليف غير كتابه المشهور تاريخ دمشق مخلفاً ورائه إرثاً عظيماً

---

(٤) الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط٢ ، (بيروت ، ١٩٩٣م) ، ج٤٩ ، ص٧٨ ؛ ابن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٣٠٦ .

(٥) السبكي ، طبقات الشافعية ، ج٨ ، ص١٥٧ .

(١) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج٨ ، ص٣٣٧ .

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٢ ، ص٣١٣ ؛ تذكرة الحفاظ ، ج١ ، ص٤٧٧ ؛ السبكي ، طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص٢٧٧ .

(٣) ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٤،ص٢٤٢ ؛ المنجد ، المؤرخون الدمشقيون من القرن الثالث الهجري الى القرن العاشر الهجري،مطبعة الشركة المصرية،ط٢،(مصر،١٩٥٦م)، ص٢٢.

(٤) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، حوادث سنة (٥٧١-٥٨٠هـ) ، ص٨٢ .

لهذه الأمة العريقة أمة الحضارات في القيادة والريادة ، وقد رثاه عند موته أبو علي الحسين بن عبد الله[١] :

ذرا السعي في نيل العلا والفضائل ... مضى من إليه كان شد الرواحلِ
وقولا لساري البرق أني نعيته ... بنار أسً أدمع سُحبٍ هواطلِ
وما كان إلا البحر غار ومن يرد ... سواحله لم يلقَ غير جداولِ
وهبكم رويتم علمه عن رواته ... وليس عوالي صحيحه بنوازلِ
فقد فاتكم نور الهدى بوفاته ... وعز التقى منه ونُجحُ الوسائلِ
خلت سنة المختار من ذب ناصر ... فأقرب ما نخشاه عيّ كل مجادلِ
وسدَّ من التجسيم باب ضلالة ... ورد في التشبيه شبهة باطلِ[٢]

سادساً . نشأته العلمية :

نشأ ابن عساكر في أحضان أسرته العلمية ، المتمثلة في والداه الذين رباه على العلم والفضيلة منذ نعومة أظفاره ، فقد كان والده ورعاً محباً للعلم ومجالسة العلماء ومصاحبتهم ، وكذلك أمه التي ورثت عن والدها يحيى بن علي القاضي ، ففي هذا الجو المفعم بالعلم والعلماء تربى ابن عساكر التربية العلمية الصحيحة ، إذ كان والده قاضياً وجده لأمه عالماً بالنحو ، فدرس على يديه النحو وأتقنه ، لذلك كانت أسرته أول من تولى تربيته وتهذيبه وتعليمه ، فسمع الحديث من أبيه وأخيه وهو في سن مبكرة وتتلمذ على يد علماء دمشق وشيوخها وكانت دمشق في ذلك الوقت حاضرة العلم في العالم الإسلامي ، إذ درس على يد علمائها ، كُتب الحديث والتاريخ[٣] .

وتلقى العلم على يد الكثير من الشيوخ في دمشق ، إذ درس عدداً كبيراً من أمهات الكتب في الحديث والتاريخ ، لذلك لم ينشغل في بداية حياته إلا بطلب العلم فانصرفت همته إليه ، لذا قال ولده القاسم " روي عنه أشياء من تصانيفه بالإجازة في حياته واشتهر

---

(٥) أبو علي الحسين بن عبد الله بن رواحة بن إبراهيم بن عبد الله الأنصاري الحموي (ت ، ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، الأديب الفقيه الشاعر المجيد ، ولد بحماه ونشأ بها ورحل إلى دمشق فأقام بها مدة واشتغل بالفقه ، وسمع من أبي القاسم ابن عساكر ومن عمه وآخرين ، ورحل من دمشق ثم عاد إليها ، فشهد واقعة مرج عكا فقتل فيها شهيداً ، الحموي ، معجم الأدباء ، ج١٠ ، ص٤٦ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص٥٦٨ .

(٦) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٢ ، ص٣٠٦-٣٠٧ ؛ العبر في خبر من غبر ، ج٢ ، ص٢٣٢.

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٢ ، ص٣٠٩ .

اسمه في الأرض "[١] ، وتفقه في حداثته على يد جمال الإسلام الحسن السلمي ، وهو إمام علامة وفقيه شافعي فرضي ، سمع أبا نصر الخطيب ، ودرس في المدرسة الغزالية ، وكان ثقة ثبت عالم بالمذهب والفرائض حفظ كتاب التجريد للقزويني ، له كتاب أحكام الخناثي ، توفي في سنة (٥٣٣هـ/١١٣٨م)[٢] وغيره من المشايخ ممن درس عليهم النحو والصرف وعلق على مسائل الخلاف على يد سعد بن أبي صالح الكرماني وكان عالماً واعظاً ذا رأي وعقل وعلم ، برع في الفقه ، سمع من أبي المعالي الجويني وأبو مظفر السمعاني ، وكانت ولادته سنة (٤٥١هـ/١٠٥٩م) ، وتوفي سنة (٥٣٢هـ/١٠٩٧م)[٣] ، وكان قد درس عليه العلم الذي حصله منه في بغداد[٤] ، قال فيه ابنه القاسم : " كان مواظباً على صلاة الجماعة وتلاوة القرآن في رمضان وله كل يوم ختمة يعتكف في المنارة الشرقية كثير النوافل والأذكار يحيي ليلة النصف والعيدين بالصلاة والتسبيح ، يحاسب نفسه على كل لحظة يضيعها في غير طاعة الله "[٥] ، " اجتمعت له الأئمة وكان محط أنظار طالبي العلم ، فهو البحر الذي لا ساحل له والحبر الذي حمل أعباء السنة كاهله قطع الليل والنهار دائبين في دأبه ، جمع نفسه على أشتات العلوم ، لا يتخذ غير العلم والعمل صاحبين وهما منتهى إربه ، حافظ لا تغيب عنه شاردة ولا واردة ، وحيث استوت لديه الطريقة السابقة واللاحقة ساوى بها من سبقه إن لم يكن فاقه ، وسمة علم أثرى بها وترك الناس كلهم بين يديه ذوي فاقة "[٦] ، ومما يدلل على ذلك تاريخه ذا الثمانين مجلداً والذي وصفه السبكي في كتابه طبقات الشافعية : " أبان فيه عما لم يكفه غيره وإنما عجز ومن طالع هذا الكتاب عرف إلى أي مرتبة وصل هذا الإمام واستقل الثريا وما رضي بدر التمام وله الأطراف أو تبين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري ، وله عدة من التصانيف والتخاريخ والفوائد ما الحفاظ له إلا محاويج "[٧] ، " وله مجالس إملاء من صدره يخرج لها البخاري ويسلم مسلم ولا يرتد أو يصل في

---

(٢) المصدر نفسه ، ج١٢ ، ص٣٠٨-٣٠٩ .

(٣) السبكي ، طبقات الشافعية ، ج٢ ، ص٣٠٨ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ح١٢ ، ص١٧٠ .

(٤) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص٦٢٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ج١٢ ، ص٣٠٨-٣٠٩ .

(١) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ح١٢ ، ص٣٠٨-٣٠٩ .

(٢) السبكي ، طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص١٣٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص١٣٨ .

في الرحلة إليها البذل المهاري "[1] ، وهذا ما جعل الملك نور الدين محمود زنكي ، والذي رأى في ابن عساكر هذه النشأة العلمية الفذة ، فما كان منه إلا أن ابتنى دار الحديث النورية وظل الحافظ يدرس فيها إلى أن وفاه الآجل ، وكان لا يبالي في غيرها ، ولا يتطلع إلى زخرف الدنيا ، وكان من المواظبين على السنة والتعبد باختلاف أنواعه من الصلاة والصيام والاعتكاف والخدمة في نشر العلم ومن تشييع الجنائز وصلة الرحم[2] ، وقد ندر على ما تقدمه من المؤرخين واتعب من يأتي بعده من المتأخرين فحاز على قصب السبق ومن نظر فيه وتأمله رأى ما وصفه فيه واصلة وحكم بأنه فريد دهره في التواريخ ، ويعني بذلك تاريخ دمشق ، وانه الذروة العليا من المشايخ أي إنه أصبح رأس الجبل العالي بسبب ما له من علوم الحديث وكتبه الأخرى وما اشتملت عليه من العبادة والطرائق الحميدة[3] .

سابعاً . شيوخه :

تتلمذ الحافظ ابن عساكر على يد الكثير من الشيوخ الذين التقى بهم أثناء رحلاته إلى البلاد الأخرى ، فضلاً عن موطنه الأصلي دمشق فأخذ العلم من منابعه الأصلية ، فكانت الطرق والأساليب التي أخذ بها متنوعة ، فمنها ما سمعه منهم مباشرة ، ومنهم من قرأ مؤلفاتهم وأطلع عليها وقد كانوا دونوها بخط يدهم حتى أن صار مجموع شيوخه (١٣٠٠) شيخاً سمع منهم مباشرة ، و(٢٩٠) أخذ عنهم بالإجازة ، و(بضعاً وثمانين) امرأة ، وكانت له شيخات ، فعلى الرغم من هذا العدد الهائل من المشايخ الذين سمع منهم ، إلا أنه لم يذكرهم جميعاً ولم يترجم لهم كاملاً ، وإنما ذكر أسمائهم وأنسابهم وألقابهم[4] .

---

(٤) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص١٤٣ .

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص٣٨٨-٣٨٩ .

(٦) المصدر نفسه ، ج١٢ ، ص٣٨٨-٣٨٩ .

(١) ابن ماكولا ، علي بن هبة الله (ت،٤٧٥هـ/١٠٨٢م) ، الاكمال في رفع الارتياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى ، (بيروت ، د.ت) ، ج١، ص٤٩١ ؛ ابن الأنجب ، مشيخة النعال ، ص١٦ ؛ السيوطي ، طبقات الحفاظ ، ص٤٧٤ ؛ ابن حجر ، أبو الفضل احمد بن علي العسقلاني (ت،٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، أربعة أجزاء ، المكتبة العلمية ، (بيروت ، د.ت) ، ج٤ ، ص١٣٦٥ ؛ الدعجاني ، طلال بن سعود ، موارد ابن

ومن أبرز أولئك أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسين الموازيني (ت٥١٤هـ/١١٢٠م) الشيخ العالم المسند المقرئ شيخ دمشق ، شيخ مستور ثقة حافظاً للقرآن الكريم ، روى عنه الحافظ ابن عساكر وتفرد وعلا إسناده ، قال فيه السلفي : حسن الأخلاق مرضي الطريقة ، توفي سنة أربع عشرة وخمسمائة[١] ، ومن الشيوخ أيضاً أبو الأمام الفقيه الأوحد أبو سعد إسماعيل بن الحافظ المؤذن أبي صالح احمد بن عبد الملك بن علي النيسابوري الواعظ المشهور بالكرماني[٢] ، وكان ذا رأي وعقل وعلم برع في الفقه ، وكان له عز ووجاهة عند الملوك ، سمع من أبيه وأبي حامد احمد بن الحسن الأزهري ، حدث عنه ابن عساكر ، وكانت وفاته سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة[٣] ، أبو يعقوب يوسف بن أيوب بن الحسين بن وهدة الهمذاني (ت٥٣٥هـ/١١٤٠م) الإمام العالم الفقيه القدوة العارف التقي شيخ الإسلام ، سمع بكثير من المدن كما في اصبهان[٤] وبخارى[٥] وسمرقند[١] ، وأكثر الترحال لكن تفرقت أجزاؤه فما كان يتفرغ لإخراجها ، كان

عساكر في تاريخ دمشق ، أطروحة دكتوراه منشورة بثلاثة أجزاء ، الجامعة الإسلامية ، ط١ ، (المدينة المنورة ، ٢٠٠٤م) ، ج٣ ، ص٢١٦٣ .

(٢) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص٤٣٧-٤٣٨ .

(٣) كرمان : في الأقليم الثالث وبعدها عن خط المغرب تسعون درجة ، وعن خط الاستواء ثلاثون درجة ، وهي عظيمة جليلة ولها كور وأقاليم ومياهها قليلة ، افتتحها عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب فصالح أهلها على ألفي درهم في خلافة عثمان ﷺ ، وأحسن أعمالها مدينة كرمان مما يلي السند . المنجم ، إسحاق بن الحسين المنجم (توفى في القرن الرابع الهجري) ، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان ، عالم الكتب ، ط١ ، (بيروت ، ١٤٠٨هـ) ، ص٧٨ .

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص٢٦٦ ، ص٦٢٨ .

(٢) اصبهان : من قم الى اصبهان ستون فرسخاً تكون ست مراحل ، ولاصبهان مدينتان يقال لأحدهما : جي ، والمدينة الأخرى يقال لها : اليهودية وأهلها أخلاط من الناس وعربها قليل وأكثر أهلها عجم من أشراف الدهاقين وبها قوم من العرب انتقلوا إليها من الكوفة والبصرة من ثقيف وتميم وبني ضبة وخزاعة وبني حنيفة وبني عبد القيس وغيرهم ، ويقال : أن سلمان الفارسي ﷺ كان من أهل اصبهان ، ومن قرية يقال لها : جيان ، ولأهل اصبهان مياه كثيرة من أودية وعيون تجري الى الأهواز من اصبهان الى تستر ، وافتتحت اصبهان سنة ثلاث وعشرين للهجرة ومبلغ خراجها عشرة الاف درهم . اليعقوبي ، احمد بن إسحاق ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت ، ٢٩٢هـ/٩٠٤م) ، البلدان ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٤٢٢هـ) ، ص٨٥-٨٧ .

(٣) بخارى : من بلاد خراسان ، وهو بلد واسع يشق على المدن كبراً ومحاسن وكثرة أشجار ، وهي في مستوى الارض وبناؤها خشب مشتبك ويحيط بهذا الخشب المشتبك في البناء من القصور والبساتين

مشغولاً بالعبادة من أولياء الله ، وانتفع به خلقٌ كثير[٢] ، والشيخ الفاضل المؤدب أبو القاسم تميم بن أبي سعيد بن أبي العباس ، ثقة صالح يعلم الصبيان ، ومن سماعاته (معجم الحاكم) سمعه من البيهقي قال ابن عساكر : " آخر العهد به سنة ثلاثين وخمسمائة ولا أدري متى توفي "[٣] ، وأبو الوحش سبيع بن المسلم بن علي بن هارون المقرئ الضرير المعروف بابن قيراط[٤] ، انتهت إليه الرياسة في القراءة بدمشق ، وكان يقرئ في حلقة الكتاني من ثلث الليل إلى قريب الظهر لا يحتاج إلى تجديد طهارة مع طعنه في السن ، وكان مبعد الحي كل يوم إلى الحلقة محمولاً ، قال ابن عساكر : " سمعت منه وكان ثقة وقرأت بخط أبي الفرج غيث بن علي سالت أبا الوحش عن مولده فقال:سنة تسع عشرة وأربعمائة ، وتوفي أبو الوحش في يوم السبت ودفن يوم الأحد الحادي عشر من شعبان سنة ثمان وخمسمائة ودفن بباب الصغير عند قبور الصحابة ، وكانت له جنازة عظيمة شهدتها "[٥] .

والسكك والقرى المتصلة ما يكون طوله ستة وثلاثين ميلاً في مثلها ويحيط بجميعها سور يجمع هذه القصور والمساكن التي تمتد من القصبة ويسكنها من يكون من أهل القصبة شتاءً وصيفاً مدينة حسنة لها سور مجصص والمسجد الجامع بها معدوم المثال كثير الاحتفال ، وببخارى بئر كثير ولا يحصيهم العدد ، وجل أهلها مياسير ، افتتحها سعيد بن عثمان بن عفان في زمن معاوية . الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت،٩٠٠هـ/١٤٩٤م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، ط٢ ، (بيروت ، ١٩٨٠م) ، ص٨٢-٨٣ .

(٤) سمر قند : بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده راء مفتوحة ثم قاف مفتوحة ثم نون ساكنة ودال مهملة ، مدينة السعد معروفة غزاها شمر ملك من ملوك اليمن وهو شمر يرعش بن افريقش فهدمها فسميت شمر كند فعربت فقيل : سمرقند وبنى كند كسر وهي من خراسان . البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت ، ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عالم الكتب ، ط٣ ، (بيروت ، ١٤٠٣هـ) ، ج٣ ، ص٧٥٤-٧٥٥ .

(٥) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص٦٦-٦٩ .

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص٢٠-٢٣ .

(٢) الذهبي ، المختصر المحتاج إليه من تاريخ الدبيثي ، تحقيق : مصطفى جواد ، (بغداد ، مطبعة الزمان ،١٩٦٣م ؛ وطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٧٦م) ، ج٣ ، ص٢٢ .

(٣) ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر(ت ، ٥٧١هـ/١١٧٥م) ، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأوائل أو اجتاز بنواحيها ومن ورد بها

هذا ذكر لأبرز الشيوخ الذين درس عليهم الحافظ ابن عساكر وأخذ منهم أعلى الأجازات ، وكان أثر ذلك الرحلة التي رحلها في سبيل التحصيل العلمي في مختلف العلوم سواءً كان ذلك في الحديث أو الفقه أو شتى العلوم الأخرى ، في حين أن العدد أكثر بكثير من الذين ذكرناهم لاسيما وقد تمت دراسة شيوخ وموارد الحافظ ابن عساكر رحمه الله على مرحلتين ، فكانت الأولى " موارد ابن عساكر عن السيرة النبوية في كتابه تاريخ دمشق "[١] ، والدراسة الثانية " شيوخ ابن عساكر ومنهجه في كتابه تاريخ دمشق من بداية العصر الراشدي حتى سنة (٥٥٩هـ/١١٦٣م) "[٢] ، وسوف نذكر الكثير منهم مما لم يتم ذكرهم في فصل لاحق من هذا الكتاب في موارد خلافة المأمون من خلال تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر .

ثامناً . رحلاته :

الرحلة لدى العلماء والفقهاء والمحدثين أمر لابد منه في تحصيل العلوم وبلوغ أعلى الإجازات والسماعات ، ومن هنا لابد لنا أن نبين الرحلة ومعناها والمقصود منها ، وسوف نذكر الرحلة من حيث معناها اللغوي لدى أصحاب اللغة ومعناها من حيث رأي المؤرخين وغيرهم ، فالمقصود بالرحلة لدى اللغويين . الرحلة : بكسر الراء يقصد بها الارتحال[٣] ، أي الخروج والمغادرة بمعنى السفر من بلد إلى آخر ، وبالضم الوجه الذي تريده ، فيقال انتم رحلتي[٤] ، أي الذين ارتحل إليهم ، والرحال العالم الكثير الترحال[١] ،

وأهلها ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، (دمشق ، ١٩٩٥م) ، ج٢٠ ، ص٤٠ .

(٤) الزوبعي ، شلال فياض حمادي ، موارد ابن عساكر عن السيرة النبوية في كتابه تاريخ دمشق ، رسالة ماجستير عن منشورة ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، بغداد ، ٢٠٠٩م .

(٥) الزوبعي ، شيوخ ابن عساكر ومنهجه في كتابه تاريخ دمشق من بداية العصر الراشدي حتى سنة (٥٥٩هـ/١١٦٣م) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، بغداد ، ٢٠١٢ .

(١) ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ، ٢٧٦هـ/٨٨٤م) ، أدب الكاتب ، تحقيق : محمد بهجت الاثري ، المطبعة السلفية ، (القاهرة ، ١٣٤١هـ) ، ج١ ، ص٦٦ .

(٢) ابن سيدة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي (ت ، ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) ، المخصص ، تحقيق : خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، (بيروت ،١٤١٧هـ) ، ج٤ ، ص٤١٤ .

والرَّحل بالفتح كل شيء يُعد للرحيل من وعاء للمتاع ومركب كالبعير وجلس ورسن[٢] هذا من حيث اللغة .

أما الخطيب البغدادي فيقول المقصود بالرحلة أمران أحدهما : تحصيل علو الإسناد وقدم السماع ، والثاني : لقاء الحفاظ والمذاكرة لهم والاستفادة منهم فإذا كان الأمران موجودين في بلد الطالب ومعدومين في غيره فلا فائدة في الرحلة ، فالاقتصار على ما في البلد أولى[٣] .

لذلك كان ابن عساكر أول ما تعلم في دمشق على يد علمائها الأجلاء ، وبعد تحصيله العلمي لديهم وسمع ما سمعه منهم لاسيما أن دمشق هي المركز الأول الذي تعلم فيه ونهل من مناهله الصافية ، إذ كانت تقام الحلقات في الجامع الأموي متمثلة بدراسة الإقراء والحديث والوعظ والخطابة والعلوم العربية والآداب وفنونه ، وعندها قرر ابن عساكر الرحلة إلى العراق وكانت هذه أول رحلة إلى بغداد حيث أقام فيها سنة واحدة ، سمع ودَونَ ما استطاع وحفظ وأخذ من شيوخها ومكتباتها العامرة ، حيث كانت بغداد في مطلع القرن السادس الهجري من أهم المراكز العلمية في بلاد المسلمين ، وعرف أهلها بأنهم موصوفون بحسن المعرفة والتثبت في أخذ الحديث وآدابه وشدة الورع في روايته ، وأنهم اشد حرصاً عليه وأكثرهم كتباً له[٤] ، وقد بلغ عدد الشيوخ الذين سمعهم الحافظ ابن عساكر في بغداد (٣٧٣) شيخاً من أقدمهم ما لقيه الحافظ لشيخ أبي الحسن علي بن عبد الواحد الدينوري (ت٥٢١هـ/١١٢٧م) والذي سمع منه أمالي القزويني وكتاب الذكر ليوسف القاضي[٥] ، وسمع من أبي القاسم بن الحصين

---

(٣) الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب (ت ، ٨١٧هـ/١٤١٣م) ، القاموس المحيط ، تحقيق : مكتب التراث ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٨٦م) ، ج١ ، ص١٢٩٨ .

(٤) الفيومي ، أبو العباس احمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي ، (ت ،٧٧٠هـ/١٣٦٨م) ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، تحقيق : عبد العظيم الشناوي ، دار المعارف ، (القاهرة ، ١٩٩٧م) ، ج٣ ، ص٣٧٣ .

(٥) الخطيب البغدادي ، أبو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت،٤٦٣هـ/١٠٧٠م) ، تاريخ بغداد ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٤١٧هـ) ، ج١ ، ص٧ .

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٦٨ .

(٢) ابن عساكر ، أربعون حديثاً لأربعين شيخاً من أربعين بلدة ، تحقيق : مصطفى عاشور ، مكتبة القرآن ، (القاهرة ، د.ت) ، ص٤٢-٤٣ .

(ت٥٢٥هـ/١١٣١م) الشيخ الجليل المسند الصدوق ، مسند الآفاق روى عنه مسند احمد والغيلانيات واليشكريات[١] .

ولم يقتصر ابن عساكر على شيوخ بغداد والسماع منهم بل تجول في مدن العراق وسمع بالانبار من أبي الفوارس خليفة بن محفوظ بن محمد بن علي المؤدب اللغوي من أهل الانبار ، وكان يعلم الصبيان القرآن الكريم واللغة والخط ، وهو شيخ صالح حسن السيرة والأخلاق ولد سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م) ، وكان قد سمع من أبي طاهر محمد بن احمد بن أبي الصقر المعدل وغيرهم[٢] ، توفي سنة (٥٣٧هـ/١١٣٢م)[٣] ، ومن المدن الأخرى التي رحل إليها الكوفة فسمع من عمر بن إبراهيم العلوي الزيدي الكوفي ولد سنة (٤٤٢هـ/١٠٥٠م)[٤] ، وقد أعجب به العراقيون وقالوا : " ما رأينا مثله " ، وقد لازم ابن عساكر بغداد متتبعاً العلماء والفقهاء وكبار المحدثين مستمعاً إليهم[٥] .

أما الرحلة الثانية فكانت الى خراسان وقد قرأ وأكثر عليهم[٦] ، إذ سمع من أبي الطيب احمد بن عبد العزيز بن محمد بن حبيب السلمي المقدسي الواعظ[٧] إمام جامع الرافقة[٨] وذلك سنة (٥٢٩هـ/١١٣٤م)[١] وغيرهم من العلماء ، وسمع من مشايخ وعلماء

---

(٣) الذهبي ، سير اعم النبلاء ، ج١٩ ، ص٥٣٧ ؛ الدعجاني ، موارد ابن عساكر في تاريخ دمشق .

(٤) السمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ، ٥٦٢هـ/١١٦٦م) ، المنتخب من معجم شيوخ السمعاني ، تحقيق : موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، دار عالم الكتب ، ط١ ، (الرياض ، ١٤١٧هـ) ، ص٧٨٠ .

(٥) القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ، ٦٤٦هـ/١٠٥٤م) ، أنباه الرواة على أنباه النحاة ، المكتبة العصرية ، (بيروت ، ١٤٢٤هـ) ، ج١ ، ص٣٩٣ .

(٦) الذهبي ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٦٣م) ، ج٣ ، ص١٨١ .

(١) السبكي ، طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص١٣٩ ؛ الجرجاني ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي (ت ، ٨١٦هـ/١٤١٣م) ، التعريفات ، تحقيق : محمد مطلوب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، د.ت) ، ص٥٩ .

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٢ ، ص٣٠٧ .

(٣) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٧١ ، ص٢٧٣ .

(٤) الرافقة : بلد متصل البناء بالرقة وهما على ضفة الفرات وبينهما مقدار ثلاثمائة ذراع وعلى الرافقة سوران بينهما فصيل ، وهي على هيئة مدينة السلام ، ولها ربض بينها وبين الرقة وبه اسواقها ، وقد خربت وغلب اسمها على الرفقة وصار اسم المدينة الرقة ، بناها المنصور سنة (١٥٥هـ/٧٧٢م) على بناء مدينة بغداد ورتب بها جنداً من أهل خراسان ، ثم أن الرشيد بنى قصورها وكان فيما بين الرقة

وعلماء المدن الخراسانية الأخرى والتي تعد من أمهات من البلاد الخراسانية مثل نيسابور التي ينسب إليها من العلماء والفقهاء كالقشيري والمناوي ، وهي من مدن خراسان كثيرة الخيرات وفيرة المياه[٢] ، جامعة لأنواع المسرات وأنها مجمع العلماء ومعدن الفضلاء ، وكان عمرو بن الليث الصفار[٣] يقول : أقائل على بلدةٍ حشيشها الرياس وأترابها البقل وحجرها الفيرزوج ، وإنما قال ذلك لأن بها ريباساً ليس في جميع الأرض مثله ، وقال أبو طالب المأموني[٤] :

خذ لي من البقل فذاك الذي ... منها خلقنا وإليها نصير

كأنه للعين لما بدا ... أحجار كافورٍ عليها عبير

وسمع في نيسابور من مسند خراسان أبا القاسم زاهر بن طاهر الشحامي (ت٥٥٣هـ/١١٥٨م)[٥] سمع منه كتب البيهقي وتاريخ النيسابوريين للحاكم ومسند أبي يعلى الصغير وغير ذلك ، وفي هذه المدن التقى ابن عساكر بالسمعاني وفيه يقول أبو القاسم : " كثير العلم غزير الفضل حافظ متقن دين حسن السمت ، جمع بين معرفة المتون والأسانيد صحيح القراءة مثبت محتاط ، جمع ما لم يجمعه غيره ، وزاد على أقرانه

والرافقة فضاء وأرض ومزارع . الحموي ، معجم البلدان ، ط٢ ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٩٥م) ، ج٣ ، ص١٥ .

(٥) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٧١ ، ص٢٧٣ .

(٦) القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ، ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر للطباعة ، (بيروت ،١٩٦٠م) ، ص٤٧٣ .

(٧) ذكره ابن الأثير فيمن قتل سنة (٢١٩هـ/٨٣٤م) في اليوم الذي دخل فيه المكتفي بغداد ، ودفن من الغد وكان المغتضد بعد ما امتنع من الكلام أمر صافياً الحزمي بقتل عمرو بن الليث بالإيماء والإشارة ، ووضع يده على رقبته وعلى عينه بأن أذبح الأعور ، وكان عمرو أعور فلم يفعل ذلك صافي لعلمه بقرب وفاة المعتضد وكره قتل عمرو ، فلما وصل المكتفي بغداد سأل الوزير عنه فقال : هو حي فسر بذلك وأراد الإحسان إليه لأنه كان يكثر من الهدية إليه لما كان بالري فكره الوزير ذلك فبعث إليه من قتله . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٩٧م) ، ج٦ ، ص٥٢٥-٥٢٦ .

(١) أبو طالب المأموني : عبد السلام بن الحسين ، شاعر زمانه الأديب الأوحد من ذرية المأمون الخليفة ، بديع النظم مدح الملوك والوزراء وامتدح الصاحب بن عباد فأكرمه فحسده ندماء الصاحب وشعراؤه فرموه بالباطل وأنه هجا الصاحب ، ففارق الري وقدم نيسابور ومدح صاحب الجيش فوصله ، مات سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٦ ، ص٥٥١-٥٥٢.

(٢) سنذكره في موارد خلافة المأمون .

، دخل نيسابور قبلي بشهر فسمعت منه وسمع مني ، وكان قد شرع في كتابة تاريخه الكبير ، ثم كانت كتبه تنفذ إليّ وأنفذ بجواليها "[١] ، ولم تقتصر رحلة الحافظ ابن عساكر في بلاد خراسان[٢] على الدرس والتلقي والسماع فحسب وإنما حدث في اصبهان ونيسابور ، وسمع منه جماعة من الحفاظ ممن هم أسن منه[٣] .

وتوجه ابن عساكر إلى خراسان عن طريق أذربيجان إقليم شمال بلاد الجبال فتحها المسلمون بقيادة المغيرة بن شعبة سنة (٢٢هـ/٦٤٢م) عنوة ، اشتهر الكثير من سكنتها بالعلوم والفقه والحديث[٤] ، ومكث في خراسان ما يقرب من أربع سنوات ، سمع فيها من علمائها ومحدثيها ، واطلع على مؤلفات عظيمة لم تكن قد انتشرت في بلاد الشام وأمصارها ، وأهم هذه المؤلفات : مسند أبي يعلى الموصلي ومسند الإمام احمد بن حنبل[٥] ، وكان ابن عساكر ممن يقول الشعر ، وكان بينه وبين حافظ خراسان أبي سعد سعد بن السمعاني مودة عظيمة ، فكتب أبو سعد كتاباً سماه (فرط الغرام الى ساكني الشام) ، فلخص ابن عساكر مشواره في طلب الحديث الشريف في أبيات له فقال :

ألا إن الحديث أجل علم ... أشرفه الأحاديث العوالي
وأنفع كل نوع منه عندي ... أحسنه الفوائد العوالي
فإنك لن ترى للعلم شيئاً ... تحققه كأفواه الرجال

---

(٣) السمعاني ، التحبير في المعجم الكبير ، تحقيق : منيرة ناجي سالم ، مطبعة الإرشاد ، (بغداد ، ١٣٩٥هـ) ، ج٢ ، ص٣٥٦ .

(٤) خراسان : بلد مشهور شرقها بلاد ما وراء النهر ونيسابور ينسب إليها الكثير من العلماء ، فيها الكثير من العيون والآبار ، جميلة المنظر طيبة الماء والهواء ، ابن خرداذبة ، عبد الله بن عبد الله (ت ، ٣٠٠هـ/٩١١م) ، المسالك والممالك ، مكتبة المثنى – مؤسسة الخانجي ، (بغداد – القاهرة ، د.ت) ، ص٩٧–٩٨ ؛ الهمذاني ، لسان الدين الحسن بن احمد بن يعقوب (ت ، ٣٥٠هـ/٩٦١م) ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد على الاكوع ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد ، ١٩٨٩م) ، ص٨٤ .

(٥) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٢ ، ص٣٠٧ .

(١) ابن رسته ، أبو علي احمد بن عمر (ت ،٢٩٠هـ/٩٩٤م) ، الاعلاق النفيسة ، مطبعة بريل ، (ليدن ، ١٨٩١م) ، ج٧ ، ص٩٨ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص١٢٨–١٢٩ .

(٢) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، ص١٣٢٨ ؛ سير أعلام النبلاء ، ج١٢ ، ص٣٠٦ .

فكن يا صاح ذا حرص عليه ... وخذه من الشيوخ بلا ملال
ولا تأخذه من صحف فترمى ... من التصحيف بالداء العضال[١]

فمن خلال هذه الأبيات يظهر لنا أن الحافظ ابن عساكر لم يكن مؤرخاً فحسب بل كان إلى جانب ذلك محدثاً ، وهذا ما تميز به من جمع التاريخ والحديث كونهما علمان متلازمان لا يمكن الفصل بينهما فبرع بها جميعاً .

وعندما عزم الحافظ ابن عساكر الرحلة الى الحج وذلك سنة (٥٢١هـ/١١٢٧م) كان معه في تلك الرحلة جمعٌ من العلماء فلم يدع الفرصة تفوته ، فسمع في منزل من منازل الحجاج بطريق مكة بالثعلبية[٢] من ابي محمد عبد الرشيد بن ناصر بن علي الاصبهاني ، ذكره ابن عساكر في معجمه بأنه أخبره بقراءته عليه عن انس قال : ما مسست ديباجاً ولا حريراً ولا شيئاً ألين من كف رسول الله ﷺ [٣] .

وقرأ الحافظ ابن عساكر على إمام المالكين بمكة تجاه الكعبة حرسها الله تعالى على أبي الحسن رزين بن معاوية العبدري الفقيه السرقسطي الأندلسي ، ومسمع منه موطأ مالك رواية يحيى بن يحيى[٤] ، وفي منى قرأ على مكي بن أبي طالب بن احمد أبو الحسن البروجردي المعروف بابن قلاية[٥] .

وفي مدينة رسول الله ﷺ قرأ على أبي الفتوح عبد الخلاق بن عبد الواسع بن أبي عروبة الأنصاري الهروي ، ومما سمع به في مسجد رسول الله ﷺ إنشاداً من إبراهيم بن المتقن بن إبراهيم أبو إسحاق اللخمي ومما أنشد في النبي ﷺ :

إليك أفر من زللي وذنبي ... وأنت إذا لقيت الله حسبي
وزورة قبرك المحوج قدماً ... مناي وبغيتي لو شاء ربي
فإن أحرم زيارته بجسمي ... فلم أحرم زيارته بقلبي
فدونك يا رسول الله مني ... تحية مؤمن وهوى محب
سأجعل عروتي الوثقى يقيني ... بصحة ما أتيت به وحبي

---

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص٢٩٤ .
(٤) الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٧٨ ؛ الدعجاني ، موارد ابن عساكر ، ص٤٩ .
(١) ابن عساكر ، معجم الشيوخ ، تحقيق : وفاء تقي الدين ، ط١ ، دار البشائر ، (دمشق ، ٢٠٠٠م) ، ج١ ، ص٥٧٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٤٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١١٥٥ .

عسى ودٌ نوى لك في فؤادي ... على بعدي سيوجب مثل قربي
شهدت بأن دينك خير دين ... بلا شك وصحبك خير صحب[١]

تاسعاً . مكانته العلمية وثناء العلماء عليه :

بعد التحصيل العلمي والإجازات والسماعات التي نالها الحافظ ابن عساكر والمؤلفات التي ألفها نال مكانة مرموقة عند العلماء وما آلت إليه الرياسة في هذا المجال ، وممن قال فيه سعد الخير أبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري الأندلسي البلنسي كان من الفقهاء العلماء سمع من طراد الزينبي وكان ثقة[٢] ، قال في الحافظ ابن عساكر : " ما رأيت في سن ابن عساكر مثله "[٣] ، وقال القاسم بن الحافظ فيه سمعت التاج المسعودي وهو إمام محدث فقيه لغوي متقن (ت٥٨٤هـ/١١٨٨م) يقول : " سمعت أبا العلاء الهمذاني يقول لرجل استأذنه في الرحلة إن عرفت أحداً أفضل مني فحينئذ آذن لك أن ترحل إليه إلا أن ترحل إلى ابن عساكر فإنه حافظ كما يجب "[٤] ، وقال شيخه أبو الفضل الطوسي الشافعي مسند من تبقى بنيسابور في وقته (ت٥٧٠هـ/١١٧٤م) : " ما تعرف من يستحق هذا اللقب سواه – يعني لفظة الحافظ[٥] – وكان يرافق ابن عساكر عساكر الإعجاب أينما حل وارتحل فكان يضفي المرح والثناء والإقبال والقبول في الأماكن التي يزورها مثل بغداد وبلاد المشرق الأخرى[٦] ، وكان قد لازم الغزالي مدة

---

(٤) المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٥٠ .

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٢ ، ص٨٦ .

(٢) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، ص٧١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٧١ ؛ السبكي ، طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص١٣٩ .

(٤) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٢ ، ص٣١٠ .

(٥) السبكي ، طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص٢٧٤ ؛ عبد الغني ، محمد حسن ، ابن عساكر في تقدير المؤرخين والباحثين في القديم والحديث ، بحث منشور في ندوة مرور تسعمائة سنة على ولادة ابن عساكر ، مطبعة السلام ، (دمشق ، ١٩٧٩م) ، ص٧٥ .

إقامته في دمشق ومدحه وتوصل إلى التدريس في المدرسة الأمينية والغزالية[١] ، وقال عنه السبكي : " كان من جهابذة عصره "[٢] ، وممن شهد له في ذلك الأصفهاني الذي ذكر أنه : " إمام أهل الحديث في زمانه "[٣] ، وقال اليافعي : " فقيه إمام محدث بارع وحافظ ومتقن ضابط علم راسخ ، شيخ الإسلام ومحدث الشام ناصر السنة وقامع البدعة زين الحفاظ ، وبحر العلوم الزاخر ورئيس المحدثين الموقر له بالتقدم ، العارف الماهر ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الذي اشتهر في زمانه بعلو شأنه ولم يُرَ مثله في أقرانه الجامع بين المعقول والمنقول ، والمميز بين الصحيح والمعلول ، كان محدث زمانه ، ومن أعيان فقهاء الشافعي ، غلب عليه الحديث واشتهر به وبالغ في طلبه إلى أن جمع منه ما لم يتفق لغيره ، رحل وطاف وخاب البلاد ، ولقي المشايخ ورافق الحافظ أبو سعيد عبد الكريم بن السمعاني في رحلاته "[٤] ، أما السيوطي فقال عنه : " الأمام الكبير حافظ الشام بل حافظ الدنيا ، الثقة الثبت الحجة ، ثقة الدين صاحب تاريخ دمشق وأطراف السنن الأربعة وعوالي مالك وغرائب مالك وفصل أصحاب الحديث وعوالي الثوري ومسند أهل الأربعين البلدانية ، سمع الكبار وكان من كبار الحفاظ المتقنين ، ومن أهل الدين والخير ، غزير العلم كثير الفضل ، جمع بين معرفة المتن والإسناد "[٥] .

عاشراً . مؤلفاته :

الحفظ والإتقان لدى الحافظ الكبير ابن عساكر وما جمع وما عرف من المتون والأسانيد ، والتي كونت لديه العلمية الغزيرة الواسعة وما تقصى من بحث في شتى أنواع العلوم ، فلم تكن مؤلفاته تقتصر على الحديث الشريف والفقه الإسلامي فحسب ، بل

---

(٦) النعيمي ، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت ، ٩٨٧هـ/١٥٧٣م) ، الدارس في تاريخ المدارس ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، د.ت) ، ج١ ، ص١٣٤ .

(٧) السبكي ، طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص٢٧٤ .

(١) الأصبهاني ، عماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد القرشي الكاتب (ت ، ٥٩٧هـ/١٢٠٦هـ) ، خريدة القصر وجريدة العصر ، تحقيق : محمد بهجت الأثري ، مديرية الثقافة العامة ، سلسلة كتب التراث ، (بغداد ،١٩٧٣م) ، القسم العراقي ، ج١ ، ص٣١ .

(٢) السمعاني ، الأنساب ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، دار الجنان ، (بيروت ، ١٩٨٧م) ، ج٢ ، ص١٣٢ .

(٣) طبقات الحفاظ ، ص٤٧٥-٤٧٦ .

تناولت مواضع أخرى تخص الحياة الحضارية متمثلة بالأدب والتاريخ والفضائل ، وسوف نتطرق لأبرز تلك المؤلفات[1] ، دليلاً ناصعاً لما كان يتصف به رحمه الله من علماً ومعرفة ، وهي على النحو الآتي :

١. إتحاف الزائر .
٢. الاجتهاد في إقامة فرض الجهاد وهو الأربعون حديثاً .
٣. أربعون البلدان .
٤. أربعون حديثاً عن أربعين شيخاً من أربعين مدينة .
٥. أربعون الطوال في ثلاثة أجزاء .
٦. أربعون المساواة .
٧. أربعون المصافحات .
٨. الأحاديث الخماسيات وأخبار أبي الدنيا .
٩. الأحاديث المتخيرة في فضائل العشرة في جزئين .
١٠. أخبار أبي عمر الاوزاعي (وفضائله عن معجم الأدباء) .
١١. الأشراف على معرفة الأطراف في الحديث أربعة مجلدات .
١٢. أمالي في الحديث .
١٣. التاريخ الكبير لدمشق مشهور في مجلدان (وهو كتاب تاريخ مدينة دمشق) .
١٤. تاريخ المزة .
١٥. التالي لحديث مالك العالي (١٩ جزءاً) .
١٦. تبيان الوهم والتخليط الواقع في حديث الأطيط .
١٧. تبين الأمتان بالأمر بالختان .
١٨. تبين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الشعري .
١٩. ثواب الصبر على المصاب بالولد .
٢٠. جزء حديث الهبوط .
٢١. جزء كفر سوسية (أحاديث جماعة من كفر سوسية) .
٢٢. الزهاد في بذل الشهادة في مجلد .
٢٣. سباعيات في الحديث .

---

(٤) ابن عساكر ، مقدمة التحقيق ، ج١ ، ص١٩-٢٣ .

٢٤. عوال شعبة في مجلد (إجابة السؤال في أحاديث شعبة) .
٢٥. عوالي الثوري في مجلد .
٢٦. عوالي مالك في الحديث خمسين جزءاً .
٢٧. غرائب مالك عشرة أجزاء .
٢٨. فضل أصحاب الحديث .
٢٩. فضل الجمرتين .
٣٠. فضل الربوة .
٣١. فضل عسقلان .
٣٢. فضل مقام إبراهيم .
٣٣. القول في جملة الأسانيد في حديث المؤيد .
٣٤. كتاب الاعتزاز بالهجرة – الاعتزاز بالهجرة (اعتزاز الهجرة عند اعواز النصرة) .
٣٥. كتاب السداسيات .
٣٦. كتاب طرق حديث عبد الله بن عمر .
٣٧. كتاب فضل مكة .
٣٨. كتاب فضل المدينة .
٣٩. كتاب فضل قريش والأنصار والاشعريين وذم الرافضة .
٤٠. كتاب ذم قرناء السوء .
٤١. كتاب ذم من لا يعمل بعمله .
٤٢. كتاب أحاديث أهل صنعاء الشام .
٤٣. كتاب أحاديث أبي الأشعث الصنعاني .
٤٤. كتاب حنش والمطعم وحفص الصنعانيين
٤٥. كتاب يوم المزيد .
٤٦. كتاب الخضاب .
٤٧. كتاب المسلسلات .
٤٨. كتاب المعجم لمن سمع منه وأجاز له .
٤٩. فضل الكرام على أهل الحرم .
٥٠. كتاب أخبار أبي محمد سعيد بن عبد العزيز وعواليه .

٥١. كتاب في الصفات .
٥٢. كتاب في طرق قبض العلم .
٥٣. كتاب فضائل الصديق .
٥٤. كتاب ما وقع للاوزاعي في العوالي .
٥٥. كتاب الإبدال لم يتم .
٥٦. كتاب العزلة .
٥٧. كتاب كشف المغطى في فضل الموطأ .
٥٨. كتاب حديث أهل قرية الحميريين وقبيبات .
٥٩. كتاب حديث أهل فذايا وبيت أرانس وبيت قوفا .
٦٠. كتاب حديث أهل قرية البلاط .
٦١. كتاب حديث سلمة بن علي الحسني البلاطي .
٦٢. كتاب يسرة بن صفوان ابنه وابن ابنه .
٦٣. كتاب حديث سعد بن عبادة .
٦٤. كتاب حديث أهل رندين وجبرين
٦٥. كتاب حديث لهل بيت سواي .
٦٦. كتاب أحاديث عن رومة ومسرايا والقصر .
٦٧. كتاب حديث جماعة أهل حرستا .
٦٨. كتاب حديث أهل بطنا .
٦٩. كتاب حديث عن أهل دقانية وجخراء وعين توما وجديا وطرميس .
٧٠. كتاب حديث جماعة أهل جوبر .
٧١. كتاب حديث يحيى بن حمزة التهلي وعواليه .
٧٢. كتاب أحاديث جماعة من أهل بعلبك .
٧٣. كتاب حديث أبي بكر بن محمد بن رزق الله المنيني .
٧٤. كتاب تكميل الإنصاف والعدل بتعجيل الإسعاف بالعزل .
٧٥. كتاب تهذيب الملتمس من عوالي مالك بن انس (٣١ جزءاً) .
٧٦. كتاب رفع التخليط عن حديث الاطيط .
٧٧. كتاب ذكر البيان في فضائل كفاية القرآن .

٧٨. كتاب دفع التثريب على من فسر معنى التثريب .
٧٩. كتاب حلول المحنة بحصول الابنة .
٨٠. كتاب الجواهر واللآلىء في الإبدال والعوالي .
٨١. كتاب الجواهر المبسوط لما ذكر حديث الهبوط .
٨٢. كتاب مسلسل العيدين .
٨٣. كتاب الإنذار بحدوث الزلازل .
٨٤. كتاب ترتيب الصحابة في مسند أبي يعلى .
٨٥. مسند أبي حنيفة .
٨٦. مسند أهل داريا .
٨٧. مسند مكحول .
٨٨. معجم الصحابة .
٨٩. ترتيب الصحابة في مسند احمد .
٩٠. معجم النسوان (كتاب من سمع منه من النسوان) .
٩١. مناقب الشبان خمسة عشر جزءاً .
٩٢. من وافقت كنيته كنية زوجته في مجلد .
٩٣. كتاب الموافقات على شيوخ ألائمة الثلاث الثقات في الحديث الثقاة في ستة مجلدات (كتاب الموافقات على شيوخ الأئمة الثقات (٧٢ جزء) .
٩٤. تشريف يوم الجمعة (٧ أجزاء) .
٩٥. الاقتداء بالصادق في حفر الخندق .
٩٦. المستفيد من الأحاديث السباعية الأسانيد .
٩٧. مجموع الرغائب مما وقع من حديث نالك الغرائب (١٠ أجزاء) .
٩٨. معجم أسماء القرى والأمصار .
٩٩. معجم الشيوخ النبلاء .
١٠٠. معنى قول عثمان ﷺ ما تغنيت ولا تمنيت .
١٠١. المقالة الفاضحة للرسالة الواضحة .
١٠٢. من لا يكون مؤتمناً لا يكون مؤذناً .

كل هذه المؤلفات جعلت من الحافظ ابن عساكر ليس له نظير في زمانه من حيث سعة علمه ودأبه على العمل ، لاسيما كتابه الكبير الذي لم يأتِ أحدٌ بسعته من حيث حجمه وما تضمنه من معلومات شمل جميع العلوم والمعارف .

المحاضرة الثانية

المأمون وسيرته العلمية

أولاً . حياة المأمون الأولى :

١ . اسمه ونسبه ولقبه وكنيته :

هو عبد الله أمير المؤمنين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن هبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ويكنى أبا العباس ، وقيل : أبا جعفر[١] ، دُعي له بالخلافة بخراسان في حياة أخيه الأمين ، ثم قدم بغداد بعد قتله ، وكانت ولادته كما يقول الخطيب البغدادي : " ليلة ملك هارون في شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة "[٢] ، ويذكر الذهبي أن كنيته أبو العباس فلما استخلف اكتنى بأبي جعفر ، واسم أمه مراجل ماتت في نفاسها به[٣] ، وكانت ولادته بالياسرية وهي موضع من متفرجات بغداد على نهر عيسى ، كان رضوان الياسري ملازماً سكنى الياسرية وكان كثير القول في المياه والرياض ، وله قول :

بالياسرية موقف العشاق ... وتراسل الأحداق بالأحداق

ورياض كل أخي انفساح مبهج ... ومآلف الزفرات والأحراق[٤]

قرأ العلم في صغره وسمع على عدد من الشيوخ[٥] ، وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس ولما كبر عني بعلوم الأوائل ، وكان ماهراً في الفلسفة ممن أدى ذلك إلى القول بخلق القرآن ، وكان من رجال بني العباس حزماً وعزماً وعالماً ورأياً ودهاءً وشجاعة وسؤدداً وسماحة[٦] .

وذكر ابن تغري بردي : " لولا أنه قال بخلق القرآن لكان أعظم بني العباس "[٧] ، وكان نجم ولد العباس في العلم والحكمة ، وقد أخذ من جميع العلوم بقسط وضرب فيها

---

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٠ ، ص١٨١ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٢٧٥ .

(٢) تاريخ بغداد ، ج١٠ ، ص١٨١ .

(٣) سير اعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص٢٧٤ .

(٤) الحميري ، الروض المعطار ، ص٦١٦ .

(٥) سوف نترجم لهم في موضع لاحق من شيوخه .

(٦) ابن شاكر ، فوات الوفيات ، ج٢ ، ص٢٣٥ .

(٧) ابن تغري بردي ، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي أبو المحاسن جمال الدين (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م) ، موارد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة ، تحقيق : نبيل محمد عبد العزيز احمد ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة ، د.ت) ، ج١ ، ص١٤٢ .

بسهم ، وهو الذي استخرج كتاب إقليدس من الروم وأمر بترجمته وتفصيله ، وعقد المجالس في خلافته للمناظرة في الأديان والمقالات[١] .

نشأ المأمون في حجر الخلافة وتهيأ له من وسائل التربية والتثقيف ما لم يتهيأ إلا لأخيه الأمين ، وكانت ظاهرة عليه مخايل النجابة والذكاء وبعد الهمة والتعالي بنفسه عن سفاسف الأمور ، ومع كبر سن المأمون وظهور هذه الخصال فيه وثقة الرشيد به ومحبته له لم يتح له ما أُتيح للأمين من البيعة بولاية العهد ، إذ كان لأم الأمين من المكانة لدى الرشيد وهي زوجة ما لم يكن لأم المأمون[٢] .

استخلف المأمون يوم الأحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائه ، وهو ابن سبع وعشرين سنة وعشرة أشهر وعشرة أيام وبويع له وهو بخراسان[٣] .

٢ . صفاته :

بعد أن ترعرع المأمون وصقلت موهبته بدأ المؤرخون يذكرونه بالإطراء من حيث براعته في العلم وسعة الثقافة والمعرفة وحب العلماء ، وما يبين ذلك تشجيعه لحركة الترجمة ونشر العلم وتبنيه علم الكلام والجدل والمناظرة ، وكذلك كان يتمتع بحلم ومحاسن أفعال ومكارم أخلاق ، وإن له في كل علم مقال ، فقد ذكر صاحب تاريخ بغداد فيما سمع أن المأمون يقول : " الهواء جسم وكان يخالف من يقول أن غير جسم وقدم دليله على ذلك ، فدعا بكوز زجاج له بلبلة فرفع أصبعه على البلبلة وملأ الماء فيها حتى فار فخرج فدل على أن الذي كان في البلبلة هواء محصور وأن المحصور جسم " ، ويروي ابن الجوزي قال : حدثنا احمد بن عبد الله الوكيل ، قال : حدثنا القاسم بن محمد

---

(١) الدينوري ، أبو حنيفة احمد بن داود (ت ، ٢٨٢هـ/٨٩٥م) ، الأخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، مراجعة : جمال الدين الشيال ، ط١ ، دار إحياء الكتاب العربي ، (القاهرة ، ١٩٦٠م) ، ص٤٠١ .

(٢) رفاعي ، احمد فريد ، عصر المأمون ، ط٤ ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة ، ١٠٢٨م) ، ج١ ، ص٢١٠ .

(٣) ابن عبد ربه ، أبو عمر شهاب الدين احمد بن محمد (ت ، ٣٢٨هـ/٩٣٩م) ، العقد الفريد ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٤٠٤هـ) ، ج٥ ، ص٥٣٥ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٠ ، ص١٨٢ ؛ النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ، ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) ، نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب ، ط١ ، دار الكتب والوثائق القومية ، (القاهرة ، ١٤٢٣هـ) ، ج٢ ، ص١٨٨ .

الوكيل ، قال : سمعت أبي يقول : " لم يحفظ القرآن الخلفاء إلا عثمان والمأمون وكان يقرأ القرآن كثيراً "[١] ، ويقول أبو محمد اليزيدي يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي : مقرئ نحوي ثقة ، وهو أحد القراء الفصحاء عالم بلغات العرب والنحو ، توفي سنة اثنين ومائتين[٢] ، " كنت أُؤدب المأمون وهو في حجر سعيد الجوهري ، قال : فأتيته يوماً وهو داخل فوجهت إليه بعض خدمه يعلمه بمكاني ، فأبطأ عليَّ ، ثم وجهت إليه آخر فأبطأ ، فقلت : سعيد إن هذا الفتى ربما تشاغل بالبطالة وتأخر ، قال : أجل ومع هذا أنه إذا فارقك تعرَّم[٣] على خدامه ولقوا منه أذى شديداً فقومه بالأدب ، فلما خرج أمرت بحمله فضربته سبع درر ، قال : فإنه ليدلك عينيه من البكاء إذ قيل له : هذا جعفر بن يحيى قد أقبل فأخذ منديلاً فمسح عينيه من البكاء وجمع ثيابه وقام إلى فرشه فقعد عليها متربعاً ثم قال : ليدخل ، فدخل فقمت عن المجلس وخفت أن يشكوني إليه فألقى منه ما أكره ، قال : فأقبل عليَّ بوجهه وحديثه حتى أضحكه وضحك إليه ، فلما هم بالحركة دعا بدابته وأمر غلمانه فسعوا بين يديه ، ثم سال عني فجئت ، فقال : خذني على ما بقي من جزئي ، فقلت : أيها الأمير أطال الله بقاءك لقد خفت أن تشكوني إلى جعفر بن يحيى ، فلو فعلت ذلك لشكر لي ، فقال : أتراني يا أبا محمد كنت أطلع الرشيد على هذه؟ فكإني بجعفر حتى أطلعه؟ أني محتاج إلى أدب إذ يغفر الله لك بعد ظنك ووجيب ظنك خذ في أمرك فقد خطر ببالك ما لا تراه أبداً ولو عدتُ في كل يوم مئة مرة[٤] .

---

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٩٦ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص٥٢ .

(٢) ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان البرمكي الاربلي (ت ، ٦٨١هـ/١٢٨٢م) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٠٠م) ، ج٦ ، ص١٦٣-١٨٩ .

(٣) أصابهم بشراسة وأذى . رفاعي ، عصر المأمون ، ج١ ، ص٢١١ .

(٤) ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين (ت،٧١١هـ/١٣١١م) ، مختصر تاريخ دمشق ، تحقيق : روحية النحاس وآخرون ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط١ ، (دمشق ، ١٩٨٤م) ، ج١٤ ، ص٩٤-٩٥ .

وكان المأمون من أشد الناس عفواً ويتبين ذلك من قوله : " لو عرف الناس حبي للعفو لتقربوا إليَّ بالجرائم وأخاف أن لا أوجَرَ فيه "[١] ، وعن يحيى بن أكثم[٢] : كان المأمون يحلم حتى يفيظنا قيل : مرّ ملاّح ، فقال : إن هذا يزيل عندي ، وقد قتل أخاه الأمين؟ ، فسمعها المأمون فتبسم وقال : ما الحيلة حتى أبل في عين هذا السيد الجليل[٣] .

ومن صفاته أيضاً ما كان يتمتع به من معاملة كبيرة القدر مع الخدم وغيرهم ، يقول يحيى بن أكثم : ما رأيت أكرم من المأمون بت ليلة عنده ، فعطش وقد نمت فكره أن يصيح بالغلمان فأنتبه وكنت منتبهاً فرأيته قد قام يمشي قليلاً إلى البرادة وبينه وبينها بعيد حتى شرب ورجع ، قال يحيى : ثم بت عنده ونحن بالشام وما في أحد فلم يحملني النوم ، فأخذ المأمون سعال فرأيته يسد فاه بكم قميصه حتى لا أنتبه ، ثم حملني النوم وكان له وقت فيه يشاك فكره أن ينبهني ، فلما ضاق الوقت عليه تحركت ، فقال : الله أكبر يا غلمان نعل أبي محمد[٤] .

وفي كرمه فيذكر أحد الباحثين : " والذي يتتبع ما ذكره المؤرخون من حوادث جوده وفيض إنعامه يرى أن كرم المأمون وسخاءه يرجع إلى عناصر مختلفة في نفسه ، فمنها ما يرجع إلى ما في فطرته من أريحية واهتزاز للمعروف ، ومنها ما يرجع إليه كسياسي يريد أن يظفر ويتملك القلوب ويوطد أركان سلطانه بالمال ، ونحن إذا نظرنا إلى الدوحة الهاشمية التي تفرّع عنها المأمون وأنه نشأ في حجر الخلافة في النعيم والترف ومن هذا شأنه قل حرصه على المال ، وإذا نظرنا أنه خاض معمعة سياسة وحربية كان المال من أفعل آلاتها وأبعدها أثراً "[٥] .

---

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٨ ، ص٣٧٦-٣٨٤ ؛ ابن شاكر ، فوات الوفيات ، ج٢ ، ص٢٣٥-٢٣٩ ؛ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ، ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) ، الوافي بالوفيات ، تحقيق : إحسان عباس ، ط٢ ، (بيروت ، ١٩٨٣م) ، ج١٧ ، ص٣٤٩-٣٥٤ .

(٢) سنترجم له في شيوخ المأمون في فصل لاحق .

(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٨ ، ص٣٧٦-٣٨٤ ؛ ابن شاكر ، فوات الوفيات ، ج٢ ، ص٢٣٥-٢٣٩ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٧ ، ص٣٤٩-٣٥٤ .

(٤) ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ج١٤ ، ١١١-١١٢ .

(٥) رفاعي ، عصر المأمون ، ج١ ، ص٣٣١-٣٣٢ .

وعلى أية حال فكلا الأمرين يقوي أحدهما الآخر فإن كانت سجية فهذا أمر موروث لاسيما وأنه تربى في أحضان الخلافة بما تمثله من ترف وعناية في كافة مجالاتها ومقوماتها الحياتية ، وإن كان ذلك سياسة فلابد من أن يكون ذلك للسيطرة على البلاد الإسلامية وأحوالها ، لأن ذلك سوف يعزز من اكتساب التأييد الكامل وعدم الخروج عن دائرة الخلافة والسير خلفها .

٣ . زواجه وأبنائه :

- زواجه :

لم تسعفنا المصادر بعدد زوجاته ولكن المشهور في كتب التاريخ والتراجم زوجته يوران بنت الحسن ، وأسمها خديجة ويروان لقب والأول هو الأشهر[١] ، وكانت من أحسن نساء زمانها وأجملهنَّ وأكرمهنَّ أخلاقاً وأفضلهنَّ أدباً وعقلاً ، ولها إلمام بالأدب وفنونه ، وكانت تربت في بيت أبيها أحسن تربية وخالطت نساء الرشيد واكتسبت من آدابهنَّ[٢] ، وعندما تولى الخلافة المأمون وكان قد أفتتن فيها وخطبها من أبيها الحسن وكان وزيره بعد أخيه الفضل بن سهل ، وقد زفت إليه بناحية فم الصلح وهي بلدة من العراق ، وكان ذلك في شهر رمضان من سنة عشرة ومائتين من الهجرة ، وعند دخوله عليها كانت عندها حمدودة بنت الرشيد وزبيدة بنت جعفر[٣] وأم الفضل والحسن جدة يروان ، فنثرت عليه أم الفضل ألف لؤلؤة من أنفس ما يكون فأمر بجمعها فجمعت

---

(١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٢٨٧ .

(٢) العاملي ، زينب بنت علي بن حسين بن عبد الله (ت،١٣٣٢هـ/١٩١٣م) ، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ، ط١ ، المطبعة الكبرى الأميرية ، (مصر ، ١٣١٢هـ) ، ص١٠١-١٠٣ ؛ الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت،١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، ط١٥ ، (بيروت ، ٢٠٠٢م) ، ج٢ ، ص٧٧ .

(٣) زبيدة بنت جعفر بن المنصور العباسي ، وهي امرأة هارون الرشيد وأم ولده محمد الأمين ، وكانت ذات معروف وخير وفضل ونفقة واسعة على الله وأصحاب الحاجات ، كان لها من الشرف والثروة الواسعة فإنها جمعت شرف الخلافة من أطرافها فأبوها ابن خليفة وعمها المهدي خليفة وزوجها أشهر الخلفاء وابنها خليفة ، وقد كثرت عنها الحكايات في كتب العرب ، قال ابن الجوزي : أنها سقت أهل مكة الماء بعد أن كانت الرواية عندهم بدينار ، قيل أن اسمها : أمة العزيز ، فلقبها جدها المنصور زبيدة لبضاختها ونضارتها ، تزوجها الرشيد سنة (١٦٥هـ) وكان يحبها كثيراً ويكرمها غاية الإكرام وكانت شديدة البر به والاحتفاظ على رضاه ، وأما حجتها المشهورة فأنفقت فيها في بناء المساجد والصدقات ألف ألف وسبعمائة ألف دينار وأجرت الماء من دجلة إلى عرفات ثم إلى مكة حتى سقت أهلها ، ولأهلها أخبار كثيرة ، وكانت وفاتها ببغداد في جمادى الأولى سنة (٢١٦هـ) ، العاملي ، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ، ص٢١٥-٢١٨ .

فأعطاها ليروان وقال : هذه نحلتك وسلي حوائجك فأمسكت ، فقالت لها جدتها : سلي سيدك فقد أمرك أن تسأليه ، فسألته الرضا عن إبراهيم بن المهدي[١] فقال : قد فعلت وسألته الأذن لزبيدة في الحج فأذن لها وبنى بها في ليلته وأوقدوا في تلك الليلة شمعة عبروا وزنها أربعين مناً وأنفق الحسن على المأمون مالاً جزيلاً ، قيل : أنه أقام عند الحسن تسعة عشر يوماً ، يعد له في كل يوم ولجميع من كان معه ما يحتاجون إليه ، وكان مبلغ النفقة عليه خمسين ألف ألف درهم ، وأمر له المأمون عند منصرفه بعشرة آلاف درهم وأقطعه فم الصلح فجلس الحسن وفرق المال على قواده وحشمه وعسكره ، وقيل : احتفل أبوها وعمل الولائم والأفراح ما لم يعهد مثله في عصر من الأَعصر ، وقيل في ذلك الزفاف شعراً كما في قول محمد بن حازم الباهلي[٢] :

بارك الله للحسن ... ولبوران في الختن

يا إمام الهدى ظفر ... ت ولكن ببنت من

وبقيت بوران عند المأمون إلى وفاته ، وكانت وفاتها سنة (٢٧١هـ) وعمرها ثمانون سنة[٣] .

- أبناءه :

لم تزودنا المصادر التاريخية عن تراجم كاملة لأولاد عبد الله المأمون الخليفة العباسي سوى ما ذكر من أسمائهم ، ومنهم من ذكره الحافظ ابن عساكر في كتابه وهو موسى بن عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن

---

(١) إبراهيم بن المهدي : الأمير الكبير أبو إسحاق الملقب بالمبارك إبراهيم بن أمير المؤمنين محمد بن أبي جعفر الهاشمي العباسي الأسود ويعرف بالبنين للونه وضخامته فصيحاً بليغاً عالماً أديباً شاعراً ، ويقال له : ابن شكلة وهي أمه ، بويع بالخلافة زمن المأمون وحارب الحسن بن سهل فهزمه ، ثم أقبل لحربه حميد الطوسي فهزم إبراهيم واختفى زماناً إلى أن ظفر به المأمون فعفا عنه ، توفي إبراهيم بن المهدي في رمضان سنة أربع وعشرين ومائتين . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص٥٥٧-٥٦١ .

(٢) محمد بن حازم الباهلي : محمد بن حازم بن عمرو أبو جعفر الباهلي الشاعر ، ولد بالبصرة ونشأ بها ، وانتقل إلى بغداد فسكنها ، ومدح المأمون خاصة وكان حسن الشعر مطبوع القول . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٣ ، ص١١٣ .

(٣) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٠ ، ص٢٠٠ ؛ العاملي ، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ، ص١٠٣ .

علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي ، قدم دمشق مع جعفر المتوكل سنة أربع وأربعين يعني بعد المائتين ، ذكر ذلك الحافظ ابن عساكر[١] ، فيما قرأه بخط عبد الله بن محمد الخطابي[٢] ، وذكر احمد بن كامل القاضي[٣] قال : سنة خمس وأربعين ومائتين فيها مات موسى بن المأمون[٤] .

وذكر من أولاده الذهبي فقال : وله من الأولاد محمد الكبير والعباس وعلي ومحمد وعبيد الله والحسن واحمد وعيسى وإسماعيل والفضل وموسى وإبراهيم ويعقوب وحسن وسليمان وهارون وجعفر وإسحاق وعدة بنات[٥] وهؤلاء من الذكور ، أما الإناث فكان له من البنات ما ذكر صاحب كتاب المحبر في ذكر اصهار المأمون ، فذكر محمد بن المعتصم والذي كانت عنده من بنات المأمون عائشة بنت المأمون ، وكذلك الواثق بن

---

(١) تاريخ دمشق ، ج٦٠ ، ص٥٥٢-٥٥٣ .

(٢) عبد الله بن محمد : أبو محمد الخطابي نحوي شاعر غلب على شعره الألفاظ الغريبة ، وقال ابن عساكر : قرأت في كتاب بعض الدمشقيين أنشدني الوأواء في الخطابي : من عذيري من ريب دهر عجاب // لزني أن خاطب الخطاب // قد بلاني جكل خطيب ولكن ... مثل ذا الخطب لم يكن في حسابي عاذلي عاذري أذا لم أخنه //عن خطاب ألا يترك الخطاب // وهو عين الصواب فليفتخر // العاذل أني أصبت عين الصواب فالقوافي أما فكري أذا ما // صلبت في غرائب الأغراب ومعاني شعري إذا ما ورائها // عوزها بها من الاعجاب كتبتها الاسماع مذ سمعتها // في طروس الأفهام والألباب وكفت اعين الحوادث عنها // مذ علتها تمائم الآداب . ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٢ ، ص٣٩٣-٣٩٤ .

(٣) احمد بن كامل بن خلف بن شجرة بن منصور بن كعب بن يزيد أبو بكر القاضي ، وهو أحد أصحاب محمد بن جرير الطبري ، وتقلد قضاء الكوفة من قبل أبي عمر بن يوسف ، وكان من العلماء بالأحكام وعلوم القرآن والنحو والشعر وأيام الناس وتواريخ أصحاب الحديث ، وله وضفات ، يقول الخطيب البغدادي : سمعت أبا الحسن بن زرقويه ذكر احمد بن كامل فقال : لم ترَ عيناي مثله ، وقال ابن كامل : ولدت سنة ستين ومائتين وأنشد : عقد الثمانين ليس يبلغه // إلا المؤخر للأخبار والعبر ، توفى يوم الأربعاء لثمان خلون من المحرم سنة خمسين وثلاثمائه . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٥ ، ص٥٨٧ ؛ الغزي ، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري (ت،١٠١٠هـ/١٦٠١م) ، الطبقات السنية في طبقات الحنفية ، تحقيق : عبد الفتاح الحلو ، (الرياض ، ١٩٨٣م) ، ص١٢٥ ؛ المسلمي ، محمد مهدي وآخرون ، موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلله ، ط١ ، عالم الكتب للنشر والتوزيع ، (بيروت ، ٢٠٠١م) ، ص٧٩ .

(٤) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦٠ ، ص٤٥٣ .

(١) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص٢٩٠ .

هارون بن المعتصم تزوج أسماء بنت المأمون ولم يدخل بها ، والمتوكل بن المعتصم كانت عنده نامية بنت المأمون وكانت توفيت عنده ، وعبد الله ابن منصور بن المهدي كانت عنده أمينة بنت المأمون ، ومحمد بن علي بن موسى بن جعفر من أبناء علي بن أبي طالب ﷺ كانت عنده أم الفضل بنت المأمون[١].

ولم تزودنا المصادر بتراجم بنات المأمون سوى ما ذكرنا من أولاده موسى بن عبد الله المأمون والآخر ولده العباس ، فيذكر صاحب كتاب جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة : أن العباس بن المأمون قال : لما أفضت الخلافة الى المعتصم دخلت عليه فقال : هذا مجلس كنت أكره الناس بجلوسي فيه ، فقلت : يا أمير المؤمنين أنت تعفو عما تيقنته فكيف تعاقب على ما توهمته ، فقال : " لو أردت عقابك لتركت عتابك "[٢] .

ويذكر الصفدي من أولاد المأمون : هارون بن عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور ، قال الفضل بن محمد اليزيدي : جاء عمي إبراهيم الى هارون بن المأمون فصادفه فدخلا هو وجماعة من المعتزلة فلم يصل إليهم وحجب عنه فكتب إليه :

غلبت عليكم هذه القدرية ... فعليكم مني السلام تحية
آتيكم شوقاً فلا ألقاكم ... وهمُ لديكم بكرة وعشية
هارون قائدهم وقد حفت به ... أشياعة وكفى بتلك بليّة
لكن قائدنا الإمام ورأينا ... ما قد رواه فنحن مامونية[٣]

٤ . وفاتــه :

توفي المأمون لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ، وكان قد حُمل الى طرسوس ودفن بها ، وكانت خلافته منذ قتل محمد الأمين عشرين سنة[١] ،

---

(٢) ابن حبيب ، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي بالولاء البغدادي (ت٢٤٥هـ/٨٥٩م) ، المحبر ، تحقيق : إيلزة ليختن شتيتر ، دار الآفاق الجديدة ، (بيروت ، د.ت) ، ص٦١-٦٢ .

(٣) صفوت ، احمد زكي ، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، المكتبة العلمية ، (بيروت ، د.ت) ، ج٣ ، ص١٤٥ .

(٤) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج٧ ، ص١١٦ .

وكان قد بويع يوم الاثنين لخمس بقينَّ من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ، وكان شهماً بعيد الهمة أبي النفس ، فهو نجم ولد العباس في العلم والحكمة ، وقد بلغ من السن تسعاً وثلاثين سنة[٢] ، وتوفي على نهر البذندون[٣] ودفن بطرسوس[٤] ، وكان سبب موته أنه كان على نهر البذندون مدلياً ساقيه في الماء قال : ما رأيت أبرد من هذا الماء ثم ذاقه ، وقال : ما أطيب طعمه ، ثم التفت الى سعيد بن العلاف وقال : أي شيء يصلح أن يؤكل عليه؟ ، قال : أمير المؤمنين أعلم ، قال : الرطب الأزاد ، قال : أنى لغابة في بلاد الروم[٥] ، فما تم كلامه حتى سمع لجم البريد فالتفت فرأى في أعجازها أحقاف فيها الطاف ومنها رطب أزاد فحمد الله هو ومن كان معه فما قام أحد ممن أكله إلا محموماً ، فكان ذلك أول علته ثم ظهرت في رقبته نفخة كانت تعتاده فأخطأ الطبيب في فتحها فبل النضج فهلك ، ويقال : أنه لما خرج في تلك الغزاة صاح في أحد تلك الليالي لغلام أسمه

---

(١) ابن قتيبة ، المعارف ، تحقيق : ثروة عكاشة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢ ، (القاهرة ، ١٩٩٢م) ، ص٣٩١ ؛ الفسوي ، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي (ت،٢٧٧هـ/٨٩٠م) ، المعرفة والتاريخ ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، ١٩٨١م) ، ج١ ، ص٢٠٢ ؛ الطبري ، محمد بن جرير أبو جعفر (ت،٣١٠هـ/٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك ، ط٢ ، دار التراث ، (بيروت ، ١٣٧٨هـ) ، ج٨ ، ص٤٤٦ وما بعدها .

(٢) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٤٠٠-٤٠١ .

(٣) البذندون : وهي على طريق طرسوس ، كان المأمون بن الرشيد خرج الى الصائفة على طريق طرسوس فمرض بعين يقال لها : البذندون ، وذلك سنة ثماني عشرة ومائتين فمات في رجب ، وكان لما خرج عهد الى سائر حصون الروم ودعاهم الى الإسلام وخيرهم بين الإسلام والجزية والسيف وأجابه خلق كثير من الروم الى الجزية ، الحميري ، الروض المعطار ، ص٨٥ .

(٤) طرسوس : مدينة بالشام حصينة عليها سوران بينهما فصيل وخندق ، وتجري الماء حواليها وفي سنة سبعين ومائة بني سور علي بن ابي مسلم فرج الحضي التركي وجهه مولاه هارون الرشيد لذلك وانزلها الناس عام ولي الخلافة في جيش كثيف وعسكر ضخم الى الثغور وامره ان يبني مدينة طرسوس في المرج الذي في سفح الجبل ولم يكن هناك بناء قط وان يجعل النهر يشق وسطها وأتم بناءها سنة سبعين ومائة . الحميري ، الروض المعطار ، ص٣٨٨ .

(٥) مسكويه ، ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت،٤٢١هـ/١٠٣٠م) ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، تحقيق : ابو القاسم امامي ، ط٢ ، دار سروش ، (طهران ، ٢٠٠٠م) ، ج٤ ، ص١٧٠ ؛ العمري ، احمد بن يحيى بن فضل الله القرشي شهاب الدين (ت،٧٤٩هـ/١٣٤٨م) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، المجمع الثقافي ، (أبو ظبي ، ١٩٨٩م) ، ج٢٤ ، ص٢٤٣-٢٤٤ .

سقير وقال له : ويلك من يغني ، قال : ما يغني أحد ، قال : ثم سمعت فلم أسمع شيئاً ، فقلت : ما أسمع حساً ، قال : بلى والله أنه كان يغني :

ألم تعجب لمنزلة ودور ... ضلت بين المشقر والحرور

كأن بقية الآثار فيها ... بقايا الخط من قلم الزبور

ثم اعتل في الليلة الثالثة وحكى ابن المهدي قال : رأيت في منامي كأن جارية من جواري الرشيد وفي يدها عود وهي على منبر رسول الله ﷺ تنشد :

سوف يأتي الرسول من بعد شهر ... بنعيّ الخليفة المأمون

قال : فقلت : هذه مفسرة ، فجاء نعيه بعد شهر[١] .

ومن أخباره أنه لما خرج من خراسان شيعه حميد الطوسي[٢] فسار معه فراسخ فالتفت إليه المأمون وقال : أرجع أبا غانم

عجباً لقلب متيم أحبابه ... ساروا وخلف كيف لا ينضرع

أرجع فحسبك ما تبعت ركابنا ... إن المتيم لا محالة يرجع[٣]

وفي وفاته يقول أبو سعيد المخزومي[٤] :

ما رأيت النجوم أغنت عن المأ ... مون شيئاً وملكه المأسوس

خلفوه بعرصتي طرسوس ... مثلما خلفوا أباه بطوس[٥]

---

(١) العمري ، مسالك الابصار ، ج٢٤ ، ص٢٣٤ .

(٢) حميد الطوسي : ذكره ابن خلكان فقال : وأما حميد الطوسي فإن الطبري ذكر في تاريخه تاريخ وفاته ، كما ذكرته ها هنا وغالب ظني أنه توفى بفم الصلح لأنه كان مع المأمون لما توجه إليها للدخول على يوران . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٣٥٤ ؛ وذكره الزركلي فقال : من كبار قواد المأمون العباسي توفي سنة (٢١٠هـ) ، وكان جباراً فيه قوة وبطش ، وكان المأمون يندبه للمهمات .الزركلي ، الأعلام ، ج٢ ، ص٢٨٣ .

(٣) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٢٨٦ ؛ العمري ، مسالك الأبصار ، ج٢٤ ، ص٢٦٦ .

(٤) أبو سعيد المخزومي : مسعود بن جويريه بن داود القرشي المخزومي أبو سيد الموصلي ، روى عن إسماعيل بن زياد السكوني قاضي الموصل وغيره ، وروى عنه النسائي وإبراهيم بن عبد العزيز الموصلي وغيرهم ، وقال النسائي : لا بأس به ، وقال أبو زكريا الازدي صاحب تاريخ الموصل : " كان نبيلاً من الرجال وتوفي سنة ثمان وأربعون ومئتين " . المزي ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج (ت،٧٤٢هـ/١٤٤١م) ، تهذيب الكمال ، تحقيق : بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٨٠م) ، ج٢٧ ، ص٤٧١ .

(١) الحميري ، الروض المعطار ، ص٣٨٨ .

وكان نقش خاتمه " الله ثقة عبد الله وبه يؤمن "[١] .

وفي هذه السنة من سنة ثمان عشرة ومائتين امتحن المأمون العلماء بخلق القرآن وكتب الى نائبه على بغداد وبالغ في ذلك وقام في هذه البدعة قيام متعبد لها ، فأجاب أكثر العلماء على سبيل الإكراه وتوقف طائفة ثم أجابوا وناظروا فلم يلتفت الى قولهم وعظمت المصيبة بذلك وتهدد على ذلك بالقتل فلم يقف ولم يثبت من علماء العراق[٢] إلا احمد بن حنبل ومحمد بن نوح ، قيل وأرسلا الى المأمون وهو بطرسوس فلما بلغوا الرقة[٣] جاءهم الفرج بموت المأمون[٤] .

يقول الذهبي : قرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل وأمر بتعريب كتبهم وبالغ وعمل الرصد فوق جبل دمشق ، ودعا بخلق القرآن وبالغ فسأل الله السلامة[٥] ، وهذا ما كان موجداً من خلال إكراه العلماء على القول بخلق القرآن وتحميلهم على هذا الرأي بالقوة والإكراه كما فعل باحمد بن حنبل ومحمد بن نوح ، وقد كان حدث ذلك بسبب الخوض في أقوال الفلاسفة وغيرهم من أصحاب الكلام على الرغم من أن السواد الأعظم يقولون بأن القرآن منزل من الله سبحانه وتعالى وليس بمخلوق وخير ما يؤيد ذلك قول :

لا والذي رفع السماء ... بـلا عماد للنظر
فتزينت بالساطعا ... ت اللامعات وبالقمر
والمالىء السبع الطبا ... ق بكل مختلف الصور

---

(٢) المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت،٣٤٦هـ/٩٥٧م) ، التنبيه والاشراف ، تصحيح : عبد الله اسماعيل الصاوي ، دار الصاوي ، (القاهرة ، د.ت) ، ص٣٠٥ .

(٣) اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ج٢ ، ص٥٨ .

(٤) الرقة : بفتح أوله وثانيه وتشديده ، واصله كل أرض الى جنب وادٍ ينبسط عليها الماء وجمعها رقاق ، وقال غيره : الرقاق الأرض اللينة التراب ، وقال الأصمعي : الرقاق الأرض اللينة غير رمل وأنشد : كأنها بين الرقاق والخمر // إذا تبارين شآبيب مطر ، وهي مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي ، طول الرقة أربع وستون درجة ، وعرضها ست وثلاثون درجة ، ويقال لها : الرقة البيضاء . الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٥٨-٥٩ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٢٧٠ .

(٥) اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ج٢ ، ص٥٨ .

(٦) الذهبي ، سير الاعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص٢٧٣ .

ما قال خلق في القرآ ... ن بخلقـه إلا كفر
لكن كلام منـزل ... من عند خلاق البشر[١]

ثانياً . سيرته العلمية :

تربى الخليفة العباسي في بيت أبيه أمير المؤمنين هارون الرشيد كما تربى أخيه الأمين ، وقد نالا من العناية ما جعلت منه عالماً في كل علم له نصيب ، فقد تربى على يد كبار العلماء واللغويين والأدباء والشعراء كالأصمعي[٢] وأبي محمد اليزيدي[٣] والكسائي[٤] وغيرهم من جعلهم هارون الرشيد مؤدبين يؤدبون أولاده ، وقد اكتسب من أولئك الشيء الكثير مما جعله يخوض في جميع العلوم كيف لا يكون ذلك وهو في أبهة الخلافة الإسلامية المحتضنة لكبار العلماء في شتى أنواع العلوم والمعارف ومن مختلف البلدان ويتبين ذلك من خلال الاستقراء لجميع الكتب التي عنيت بثقافة المأمون ورجاحة عقله لذلك تراه يقول في طلب العلم وتعلمه : " من طلب الرياسة بالعلم صغيراً فاته علمٌ

---

(١) التلمساني ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد المقرّي (ت،١٠٤٠هـ/١٦٣٠م) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ، تحقيق : إحسان عباس ، ط١ ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٩٧م) ، ج٣ ، ص٣٠١ ؛ رفاعي ، عصر المأمون ، ج١ ، ص٢٩٤ .

(٢) الأصمعي : عبد الملك بن قريب ، كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجونة ، كان يتناظر مع سيبويه ، وكان من أوثق الناس في اللغة وأسرع الناس جواباً وأحضر الناس ذهناً ، توفي سنة (٢١٦هـ) ، عاش ثمانياً وثمانين سنة . ابن سلام ، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت،٢٢٤هـ/٨٣٩م) ، الغريب المصنف ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، مجلة الجامعة الاسلامية ، (المدينة المنورة ، د.ت) ، ج١ ، ص٢٧٨ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص١٨١ .

(٣) أبو محمد اليزيدي : يحيى بن المبارك لقب اليزيدي لأنه أدّب أولاد يزيد بن منصور الحميري ، وأخذ عنه أبي عمرو بن العلاء وصار مؤدب المأمون ، وخرج معه الى خراسان وتوفي بها سنة (٢٠٢هـ) ، وكان أحد القراء الفصحاء عالماً بلغات العرب ، وله كتاب نواد في اللغة على مثال كتاب نوادر الأصمعي لذي علمه لجعفر بن يحيى ، وكان أحد الشعراء وله جامع شعر وأدب . ابن سلام ، الغريب المصنف ، ج١ ، ص٢٧٦ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٦ ، ص٢٢٠ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٦ ، ص١٨٣ ؛ القفطي ، أنباه الرواة على أنباه النحاة ، ج٤ ، ص٣٢ .

(٤) الكسائي : علي بن حمزة ، أخذ عن الرؤاسي وأدب أولاد هارون الرشيد ، وأخذ القراءة عن حمزة الزيات وخرج الى الاعراب وسمع منهم اللغات والنوادر ، وهو أعلم الكوفيين في النحو ، وله كتاب في معاني القرآن وكتاب في النوادر ، وأحد الأئمة في القراءة ، مات بالري سنة (١٩٣هـ) . ابن سلام ، الغريب المصنف ، ج١ ، ص٢٧٦ ؛ الاصبهاني ، اسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي التميمي (ت،٥٣٥هـ/١١٤٠م) ، سير السلف الصالحين ، تحقيق : كرم بن حلمي بن فرحان بن احمد ، دار الراية للنشر والتوزيع ، (الرياض ، د.ت) ، ص١١٥١ .

كثير "[١] ، وهذا يدل على أن المأمون أراد بقوله مدح التواضع وذم العجب والرياسة حتى يتحصل العلم الحقيقي الذي ينبل فيه الفرد ، وقوله أيضاً : " نحن الى أن نوعظ بالأعمال أحوج منا الى أن نوعظ بالأقوال "[٢] ، ويورد الشجري في كتابه : أن المأمون قال لعلي بن موسى الرضا : " الى متى يحسن بالإنسان طلب العلم؟ ، قال : ما حسنت به الحياة "[٣] ، وكل ما ذكر إنما هو دليل على براعة المأمون في سائر العلوم ، فقد فاق أبناء جنسه وعصره ، وكان يسمى نجيب بني العباس ، وكان الرشيد معجباً شديد الحب له ، وكان إذا رآه يصطنع الناس بأقواله وأفعاله ورأى محمد بن زبيدة يشتغل بجمع المال وبنى الدور والقرى يتمثل بهذا البيت:

يبني الرجال وغيره يبني القرى ... شتان بين قرى وبين رجال[٤]

فقد كان من زمن صغره فطناً ذكياً[٥] ، وكان المأمون يحفظ القرآن الكريم ، وقد سمع الحديث من مالك بن أنس[٦] وغيره ، وكان له حظ من علوم كثيرة واسند الحديث ، ويذكر ابن الجوزي فيما أخبر به قال : حدثنا القاسم بن محمد بن عباد ، قال : سمعت

---

(١) ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي (ت،٤٦٣هـ/١٠٧٠م) ، بيان العلم وفضله ، تحقيق : أبي الأشبال الزهيري ، ط١ ، دار ابن الجوزي ، (السعودية ، ١٩٩٤م) ، ج١ ، ص٥٧٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٦٩٦ .

(٣) الشجري ، يحيى المرشد بالله بن الحسين الموفق بن إسماعيل (ت،٤٩٩هـ/١١٠٥م) ترتيب الأمالي الخميسية ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠١م) ، ج١ ، ص٨٤ .

(٤) ابن العمراني ، محمد بن علي بن محمد (ت،٥٨٠هـ/١١٨٤م) ، الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق : قاسم السامرائي ، دار الآفاق العربية ، (القاهرة ، ٢٠٠١م) ، ص٩٦ .

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص٤٩ .

(٦) مالك بن أنس : مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي ، ولد سنة ثلاث أو أربع وتسعين وكنيته أبو عبد الله من سادات أتباع التابعين وجلة الفقهاء والصالحين ممن كثرت عنايته بالسنن ومعه لها مؤثراً لسنة رسول الله ﷺ على غيرها من المخترعات الداحضة قائلاً بها دون الاعتماد على المقايسات الفاسدة ، مات سنة تسع وسبعين ومائة . ابن حبان ، محمد بن حبان بن أبي حاتم البستي (ت،٣٥٤هـ/٩٦٥م) ، مشاهير علماء الأمصار ، تحقيق : فلايشهمر ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٥٩م) ، ص٢٢٣ ؛ التنوخي ، أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر (ت،٤٤٢هـ/١٠٥٠م) ، تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، ط٢ ، دار هجر للطباعة والنشر ، (القاهرة ، ١٩٩٢م) ، ص٢٣٠ .

أبـي يقـول : لـم يحفـظ القـرآن مـن الخلفـاء إلا عثمـان ﷺ والمـأمون ، وكـان المـأمون يقـرأ القرآن كثيراً وكان يحفظ الحديث ويرويه[١] .

وكان المأمون يستحسن الكلام البليغ المتباعد عن الإطالة القريب الى المعنى ، وأنه قال – أي المأمون : سمعت أبـي الرشيد يقول : " البلاغة التباعد عن الإطالة والتقرب من معنى البغية والدلالة من اللفظ على المعنى "[٢] ، وهذا الكلام بعثه إليه عمرو بن مسعدة[٣] ، وكان عمرو بن مسعدة يقول : كنت أوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي فرفع إليه غلمانه ورقة يستزيدونه في رواتبهم فرمى بها إليّ وقال : أجب عنها؟ ، فكتبت " قليلٌ دائم خير من كثير منقطع " ، فضرب بيده على ظهره وقال : أي وزير في جلدك[٤] ، كل ما ذكرناه إنما يدل على جزاله الألفاظ وصورة العبارة وبلاغة الكلام ، وقد وقد خاض في علم الكلام وكانت له من الدراية ما لم يكن لغيره ، فكان يجلس في مجلسه كبار العلماء ، ويذكر ابن عساكر فيما أسند إليه : أن جماعة تغدو مع المأمون في يوم عيد ووضع على مائدته أكثر من ثلاثمائة لون ، فكلما وضع لون نظر المأمون فقال : هذا نافع لكذا فمن كان منكم صاحب بلغم فليتجنب هذا ومن كان صاحب صفراء فليأكل من هذا ومن غلبت عليه السوداء فلا يعرض لهذا ومن قصده قلة الغذاء فليقتصر على هذا ، وكان هذا حاله على كل لون حتى رفعت الموائد ، فقال له يحيى بن اكثم : يا أمير المؤمنين إن خضنا في الطب كنت جالينوس في معرفته أو في النجوم كنت هرمس في حسابه أو في الفقه كنت علي بن أبي طالب في علمه أو ذكر السخاء كنت

---

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص٥٢ .

(٢) النحاس ، احمد بن محمد بن اسماعيل النحوي (ت٣٣٨هـ/٨٥٢م) ، عمدة الكتاب ، تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي ، ط١ ، دار ابن حزم للطباعة والنشر ، (بلام ، ٢٠٠٤م) ، ص٢١٤ .

(٣) عمرو بن مسعدة بن صول بن أبي الفضل الصولي وزير المأمون ، قدم معه دمشق وحدث عن المأمون ، وكان أبوه مسعدة مولى خالد بن عبد الله القسري أمير العراق وكان كاتبه ، توفي سنة عشرة ومائتان . ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٤٦ ، ص٣٥٢-٣٥٥ .

(٤) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٤٧٥-٤٧٦ .

حاتم طي في صفته أو صدق الحديث فأنت أبو ذر في لهجته[١] ، أو الكرم فأنت كعب بن مامه[٢] في فعاله ،أو الوفاء فأنت السموأل[٣] عاديا في وفائه فسر بهذا الكلام[٤] .

الأمر الذي جعل المأمون يدعو الى القول بخلق القرآن ، يقول الذهبي عن المأمون : " قرأ العقليات وعلوم الأوائل وأمر بتعريب كتبهم وعمل الرصد فوق جبل دمشق ودعا الى القول بخلق القرآن وبالغ فسأل الله السلامة "[٥] ، وكان المأمون قد بعث منادياً في الناس يبراءة الذمة ممن ترحم على معاوية أو ذكره بخير ، وكان كلامه في القرآن سنة اثنتي عشرة ومائتين فأنكر الناس ذلك واضطربوا ولم ينل مقصوده ففتر الى وقت[٦] ، فما أن قوي عزمه ودعوته في خلق القرآن في سنة (٢١٨هـ) وهي السنة التي توفي فيها وكان قد طلب الإمام احمد بن حنبل وكان في طريقه إليه فأُخبر بالخبر أنه مات لما وصل الى أذنة[٧] ، ومات المأمون في هذه السنة[٨] .

---

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٢٩١ .

(٢) كعب بن مامة بن ثعلبة الأبادي المكنى بأبي دؤاد من أهل الكرم في الجاهلية ، وكان يضرب به المثل في حسن الجوار ، وهو من أجواد العرب وكانوا ثلاثة هم : كعب بن مامة وحاتم الطائي وهرم بن سنان ولم تعرف وفاة كعب . ابن المستوفي ، المبارك بن احمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الاربلي (ت،٦٣٧هـ/١٢٣٩م) ، تاريخ اربل ، تحقيق : سامي السيد خماس الصفار (بغداد ، ١٩٨٠م) ، ج٦ ، ص٦٩٦ .

(٣) السموأل : السموأل بن عاديا من أهل تيماء وهو الذي كان امرئ القيس استودعه سلاحه فسار إليه ابن أبي شمر الغساني فطلبه فأغلق الحصن دونه فأخذ ابناً له خارجاً من القصر وقال : أما أن تؤدي الى السلاح وأما أن اقتله ، قال : اقتله فلن أؤديها ووفى ، فضرب الأعشى المثال فقال : كن كالسموأل إذ طاف الهمام به // في جحفل كسواد الليل جرار // الأيلق الفرد من تيماء منزلة // حصن حُصين وجار غير غدار . الجمحي ، محمد بن سلام بن عبيد الله (ت،٢٣٢هـ/٨٤٦م) ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المدني ، (جدة ، د.ت) ، ج١ ، ص٢٧٩-٢٨٠ .

(٤) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٢٩١ .

(٥) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص٢٧٣ .

(٦) المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٢٧٣ .

(٧) أذنة : بفتح أوله وثانيه بعده نون مفتوحة أيضاً موضع مذكور في رسم فيد ، وأذنة من ثغور الشام إليه ينسب علي بن الحسين بن بندار الأذني القاضي المتحدث متأخر الوقت نزل مصر . البكري ، معجم ما استعجم ، ج١ ، ص١٣٢-١٣٣ .

(٨) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج٦ ، ص٢٢٦ .

وكان هارون الرشيد قد قال في حياته : بلغني أن بشر بن غياث يقول أن القرآن مخلوق لله علي إن أظفرني به لأقلتنه ، قال الدورقي : وكان بشراً متوارياً أيام الرشيد فلما مات ظهر ودعا الى الضلالة ، ثم أن المأمون نظر في الكلام وباحث المعتزلة وبقي يقدم رجلاً ويؤخر أخرى الى أن دعا الناس الى القول بخلق القرآن[١] ، فأجابه قوم وكان هذا خوفاً من السيف[٢] ، وكان ممن امتنعوا احمد بن حنبل الذي أوذي كثيراً ولكنه ثبت ولم يقل بخلق القرآن ، فقد أورد السبكي في كتابه فقال : وقال البخاري : لما ضرب احمد كنا بالبصرة فسمعت أبا الوليد يقول : لو كان هذا في بني إسرائيل لكان أُحدوثة[٣] ، ولولا ولولا امتحانه العلماء وقوله بخلق القرآن لكان أعظم بني العباس لما اشتمل عليه من الحزم[٤] ، وبذلك كان الإمام احمد قد استعصى على المأمون فلم يستطع على إقناعه مما أدى الى أن يؤتى به والأغلال في يديه ورجليه وشاء الله سبحانه وتعالى أن يموت المأمون وهو في طريقه إليه ، ومهما يكن من أمر فإن قول المأمون بخلق القرآن كان خطأً كبيراً نسأل الله أن يرحمه ، علماً أن المأمون كان عالماً بمختلف العلوم ، وهذا ما سنحاول تبيانه وعلى النحو الآتي :

١ . علمه بالتفسير :

كان المأمون ممن يحفظ القرآن الكريم ويقرأه كثيراً ، وذكر ابن عساكر بما أخبره به الخلال : أنه لم يحفظ القرآن أحد من الخلفاء إلا عثمان بن عفان ﷺ والمأمون [٥](*) ،

---

(١) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج٦ ، ص٢٢٦ .

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص٢٨٨ .

(٣) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج٢ ، ص٣٧ .

(٤) ابن تغري بردي ، وموارد اللطافة ، ج١ ، ص١٤٢ .

(٥) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٢٨٨ .

(*) ذكرت كتب التاريخ والتراجم أنه لم يحفظ القرآن الكريم من الخلفاء إلا عثمان بن عفان ﷺ والمأمون ، وهذا فيه لبس لابد من بيانه فقد ذكر ابن الجزري في كتابه : أن الكثير من الصحابة ومن الخلفاء أيضاً قد حفظوا القرآن الكريم ، فكان عبد الله بن عمرو بن العاص حافظاً للقرآن كله في حياة النبي ﷺ واستزاده إني لا أطيق أكثر من ذلك ، وعبد الله بن مسعود ﷺ حفظه ولم يذكر ، وتواتر أيضاً أن أبا موسى الأشعري قرأ جميع القرآن على النبي ﷺ ، وكذلك علي بن أبي طالب ﷺ مع غيره من الصحابة ﷺ ممن حفظوا القرآن الكريم . ابن الجزري ، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت،٨٣٣هـ/١٤٤٣م) ، غاية النهاية في طبقات القراء ، مكتبة ابن تيمية ، (برجستراسر ، ١٣٥١هـ) ، ج١ ، ص٤٣٢ .

ومما كان يروى عنه كما أخبر بذلك ذو الرياستين : أن المأمون ختم في شهر رمضان ثلاثاً وثلاثين ختمة ، وقال : أما سمعتم في صوته بحوحة[١] ، وأما علمه بالتفسير فدخل رجل من الخوارج على المأمون فقال : ما حملك على خلافنا؟[٢] ، فقال له المأمون : ألك علم بأنها منزلة ، قال : نعم ، قال : وما دليلك؟ ، قال : إجماع الأمة ، قال : فلما رضيت بإجماعهم في التنزيل فارض بإجماعهم في التأويل ، قال : صدقت السلام عليك يا أمير المؤمنين[٣] ، وروي عن الرشيد أنه قال : أني لأعرف في عبد الله أبني حزم المنصور ونسك المهدي وعزة الهادي ولو أشاء أن أنسبه الى الرابع يعني نفسه لفعلت ، وقد قدمت محمداً عليه وإني لأعلم أنه منقاد الى هواه مبذر لما حوته يداه يشارك في رأيه الأماء ولولا أم جعفر وميل الهاشميين إليه لقدمت عليه عبد الله[٤] ، لأنه عرف منه ذكائه الثاقب ومعرفته بالعلوم لاسيما وأنه كما بينا قد درس على كبار العلماء والأدباء واللغويين في وقته ، ولم يقف الى هذا الحد فقد أهتم المأمون بحركة الترجمة فأرسل المترجمين الى بلاد الروم لنقل ما فيها من العلوم فأحضروا طرائف الكتب في مختلف الفنون ، وطور بيت الحكمة الذي أسسه الرشيد وقسمه الى أجنحة للترجمة والتأليف والدرس والنسخ فزخرت بغداد بجّمٌ غفير من العلماء الذين ساهموا في نشر العلم وتربية الأجيال حتى صار لبغداد شهرتها العلمية في مختلف الميادين[٥] ، مما ساعد على نشاط الحياة العلمية في عصر المأمون على الرغم من الآثار السيئة التي تركتها فتنة خلق القرآن في الحياة الإسلامية[٦] .

---

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٢٨٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣٣ ، ص٣٠٦

(٤) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٣٠٦ .

(٥) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص٢٧٩ .

(٦) ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي (ت،٢٣٠هـ/٨٤٤م) ، الطبقات الكبرى ، تحقيق : زياد محمد منصور ، ط٢ ، مكتبة العلوم والحكم ، (المدينة المنورة ، ١٤٠٨هـ) ، ج١ ، ص٢٨-٢٩ .

(٧) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٠ .

المحاضرة الثالثة

علمه بالحديث

بينا أن المأمون له في كل علم نصيب ، فكما كان نصيبه في القرآن الكريم عالياً من حيث الحفظ والإتقان والمعرفة ، فكذلك كانت له معرفة ثاقبة وحفظٌ متقن للحديث النبوي الشريف ، وهذا ما سنبينه من خلال ما نقلته الكتب التاريخية والطبقات ومتون الحديث ، ومن هذا ما يذكره صاحب تاريخ واسط ويذكر فيه باب من روى عنه هشيم من أهل واسط[١] ، وكان هشيم أحد شيوخ المأمون – وسيترجم له في فصل شيوخ المأمون – فقال يحيى بن أكثم قال : حدثنا المأمون أمير المؤمنين ، عن هشيم ، عن أبي الجهم ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " امرؤ القيس قائد الشعراء بأزِمتهم الى النار "[٢] ، وقال احمد بن إبراهيم الموصلي : كنا عند المأمون بالبذندون فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين قال رسول الله ﷺ : " الخلق عيال الله فأحب عيال الله الى الله أنفعهم لعياله " ، فقال له المأمون : أمسك أنا أعلم بالحديث منك حدثنيه يوسف بن عطية الصفار ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : " الخلق عيال الله فأحب عيال الله ليه أنفعهم لعياله "[٣] ، وهنا تتبين لنا معرفة المأمون

---

(١) بحشل ، اسلم بن سهل بن اسلم بن حبيب الرزاز الواسطي أبو الحسن ، (ت،٢٩٢هـ/٩٠٦م) ، تاريخ واسط ، تحقيق : كوركيس عواد ، ط١، عالم الكتب ، (بيروت ، ١٤٠٦هـ) ، ص١٢٢ .

(٢) ورد هذا الحديث بلفظ آخر كما أورد صاحب كتاب الأوائل : أخبرنا هشيم ، عن أبي الجهم ، عن الزهري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " امرؤ القيس قائد الشعراء الى النار لأنه أول من أحكم قوافيها " . ابن أبي معشر ، أبو عروبة الحسين بن محمد (ت،٣١٨هـ/٩٣١م) ، كتاب الأوائل ، تحقيق : مشعل بن باني الجبرين المطيري ، ط١ ، دار ابن حزم ، (بيروت ، ٢٠٠٣م) ، ص٦٦ ؛ السيوطي ، الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير ، تحقيق : يوسف النبهاني ، ط١ ، دار الفكر ، (بيروت ، ٢٠٠٣م) ، ج١ ، ص٢٤٢ .

(٣) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٢٧٨ .

للحديث النبوي الشريف وحفظه وخطبه لأن الذي روى له الحديث لم يروه بسنده وإنما قاله بدون السند ، فساق المأمون الحديث بالسند الذي يحفظه وما يدل على ذلك قوله له : أمسك أنأ أعلم بالحديث منك[١] .

ولم يكتفِ المأمون بحفظه وحسب وإنما أراد أن يحدث بحديث رسول الله ﷺ ويروي لنا ذلك يحيى بن اكثم القاضي قال : قال لي المأمون يوماً : يا يحيى إني أريد أن أحدث؟ ، فقلت : ومن أولى بهذا من أمير المؤمنين؟ ، فقال : ضعوا لي منبراً بالحلبة فصعد وحدث فأول حديث حدثنا به عن هشيم ، عن أبي الجهم ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : " امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء الى النار "[٢] ، ثم حدث بنحو ثلاثين حديثاً ، ثم نزل فقال لي : " يا يحيى كيف رأيت مجلسه؟ ، قلت : أجل مجلس يا أمير المؤمنين تفقه الخاصة والعامة ، فقال : لا وحياتك ما رأيت لكم حلاوة إنما المجلس لأصحاب الخلقان والمحابر زاد زاهر يعني أصحاب الحديث "[٣] .

جاء رجل الى المأمون وفي يده محبرة فقال : يا أمير المؤمنين صاحب حديث منقطع به ، فقال : ما تحفظ من باب كذا وكذا ، فلم يذكر شيئاً ، فقال : حدثنا هشيم وحدثنا يحيى وحدثنا حجاج بن محمد حتى ذكر الباب ، ثم سأله عن باب أخر ، فلم يذكر شيئاً ، فقال : حدثنا فلان وحدثنا فلان ، ثم قال لأصحابه : يطلب أحدهم الحديث ثلاثة أيام ، ثم يقول : أنا من أصحاب الحديث ، أعطوه ثلاثة دراهم[٤] .

إن هذه المعرفة التامة والضبط في الحفظ جعلت من المأمون أن يجعل الآخرين في محل اختبار عندما يدعو أو يقوموا بطلب الحديث ، لأن طلب الحديث لا يأتي إلا بسنين مع الجد والطلب والدراسة ، لا كما حصل مع ذلك الرجل ، والمأمون كيف لا

---

(٤) البيهقي ، احمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت،٤٥٨هـ/١٠٦٥م) ، شعب الإيمان ، حققه وراجعه : عبد العلي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي ، ط١ ، (الرياض – بومباي ، ٢٠٠٣م) ، ج٩ ، ص٥٢١ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٢٧٨ .

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٢٨٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣٣ ، ص٣٨٩ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص٢٧٥ .

(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص٢٧٦ ؛ ابن شاكر ، فوات الوفيات ، ج٢ ، ص٢٣٧ .

تكون له هذه المعرفة وكان يعنى بالعلم قبل ولايته كثيراً حتى جعل لنفسه مجلس نظر[١] ، ولاسيما أنه سمع الحديث من مالك بن أنس وحماد بن زيد وهشيم وغيرهم ، وكان له حظً من علوم كثيرة وأسند الحديث[٢] .

وذكر ابن الجوزي في ذكر طرف من أخبار المأمون وسيرته ، حدثنا أبو حذيفة البخاري قال : سمعت المأمون أمير المؤمنين يحدث عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : " مولى القوم منهم "[٣] ، وقال مرة : " مولى القوم من أنفسهم " ، ولما بلغ المأمون أن أبا حذيفة حدث بهذا الحديث عنه أمر له بعشرة آلاف درهم[٤] ، وأورد صاحب كتاب مسند الشهاب حديثاً فيما أسند إليه قال : سمعت المأمون على المنبر يقول : حدثنا أبو معاوية ، عن هشيم بن بشر ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " ليس الخبر كالمعاينة "[٥] ، وغير ذلك مما أخبر به يحيى بن أكثم قال : كانت ليلة عند المأمون أمير المؤمنين رحمه الله فعطشت في جوف الليل ، فقمت لأشرب فقال : ما لك يا بني لا تنام ، فلت : أنا والله عطشان يا أمير المؤمنين ، فقال : ارجع الى موضعك ، وقام والله الى البرادة فسقاني كوز ماء وقال لي : لؤم بالرجل أن يستخدم خفيه ألا أخبرك ... ألا أطرفك ... ألا أحدثك ، فقال : حدثنا الرشيد ، حدثنا المهدي ، حدثنا المنصور ، عن أبيه ، عن عكرمة

---

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص٥١ .

(٥) المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٥٢ .

(١) ورد هذا الحديث بلفظ آخر فيه زيادة على ما ذكر ، كما أورد الإمام احمد في مسنده حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن خيثم ، عن اسماعيل ، عن عبيد بن رفاعة ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : " مولى القوم منهم ، وأين أُختهم منهم وحليفهم منهم " . ابن حنبل ، أبو عبد الله احمد بن محمد الشيباني (ت،٢٤١هـ/٨٥٥م) ، مسند الإمام احمد بن حنبل ، تحقيق : شعيب الارنؤوط وعادل مرشد وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، (بيروت ، ٢٠٠١م) ، ج٣١ ، ص٣٢٦ .

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص٥٣ .

(٣) القضاعي ، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون (ت،٤٥٤هـ/١٠٦٢م) ، مسند الشهاب ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، ١٩٨٦م) ، ج٢ ، ص٢٠١ .

، عن ابن عباس قال : حدثني جرير بن عبد الله ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : " لؤم بالرجل أن يستخدم خفيه "[١] .

وخطب المأمون يوماً وذكر الحياء فمدحه وأكثر من مدحه ثم قال : أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين وأبي بكرة قالا : قال رسول الله ﷺ : " الحياءُ من الإيمان والإيمان من الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء من النار "[٢] .

ومن خلال ما تقدم يتبين أن المأمون كان صاحب حديث ، كما كان صاحب حفظ وإتقان للقرآن الكريم سوى ما قاله في خلق القرآن ، وكان المأمون يقول : لا نزهة ألذ من النظر في عقول الرجال ، وكان يقول : غلبة الحجة أحب إليَّ من غلبة القدرة لأن غلبة الحجة لا تزول وغلبة القدرة تزول بزوالها[٣] .

٣ . علمه بالفقه :

كان المأمون فقيهاً وهذا بسبب النشأة العلمية التي نشأ بها في دار الخلافة وتحت أنظار مؤدبيه ، فكما كان مفسراً ومحدثاً فقد كان فقيهاً ، وهذا ما يرويه يحيى بن أكثم أنه قال : كان المأمون يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء فجاء رجل عليه ثياب قد شمرها ونعله في يده فوقف على طرف البساط وقال : السلام عليكم ، فرد المأمون السلام فقال : أتأذن لي بالدنو؟ قال : أدن وتكلم ، فقال : أخبرني عن المجلس الذي أنت جلسته باجتماع الأمة أم بالمغالبة والقهر؟ ، قال المأمون : لا بهذا ولا بهذا بل كان يتولى أمور الناس من عقد لي ولأخي فلما صار الأمر إلي علمت إني محتاج الى اجتماع كلمة المسلمين في الشرق والغرب على الرضا بي فرأيت أني متى تخليت عن الأمر اضطربَ

---

(٤) النيسابوري ، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم (ت،٤١٢هـ/١٠٢٢م) ، الفتوة ، تحقيق : احسان ذنون الثامري ومحمد عبد الله القرحات ، ط١ ، دار الرازي ، (عمان ، ٢٠٠٢م) ، ص٧٩ .

(١) البيهقي ، شعب الإيمان ، ج١٠ ، ص١٥١ .

(٢) العصامي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت،١١١١هـ/١٦٩٩م) ، سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي ، تحقيق : عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٩٨م) ، ج٣ ، ص٤٤٤ .

حبل الإسلام وتنازعوا ومرج عهدهم وبطل الجهاد والحج وانقطعت السبل فقمت حياطة للمسلمين الى أن يجمعوا على رجل يرضون به فأسلم إليه الأمر فمتى اتفقوا على رجل خرجت له من الأمر ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وذهب ، فوجه المأمون من يكشف خبره فرجع فقال : يا أمير المؤمنين مضى الى مسجد فيه خمسة عشر رجلاً في مثل هيئته ، فقالوا له : أتيت الرجل؟ قال : نعم وأخبرهم بما جرى ، فقالوا : ما نرى بما قال بأساً وافترقوا ، فقال المأمون : كفينا مؤنة هؤلاء بأيسر الخطب[1] .

ويذكر ابن عساكر : جمع المأمون العلماء وجلس للناس فجاءت امرأة فقالت : يا أمير المؤمنين مات أخي وخلف ستمائة دينار أعطوني ديناراً ، وقالوا : هذا نصيبك رحمك الله ، قال : فحسب المأمون ثم كسر الفريضة ثم قال لها : هذا نصيبك رحمك الله ، فقال له العلماء : كيف علمت يا أمير المؤمنين؟ ، فقال لها : هذا الرجل خلف أربع بنات ، قالت : نعم ، قال : فإن لهنَّ الثلثين أربعمائة وخلف والدة فلها السدس مائة دينار وخلف زوجة فلها الثمن خمسة وسبعون ديناراً تالله ألك عشرة أخاً؟ ، قالت : نعم أصابهم ديناران وأصابك دينار رحمك الله[2] ، وهذا ما يدل على معرفة المأمون التامة بعلم المواريث وهو تقسيم تركة الورثة على الدين ورثوا مالاً لميتهم فقسمه حسب معرفته بذلك لاسيما وأنه كما تعلم يحفظ القرآن الكريم ، وهذا النوع من الفقه الذي يسمى علم المواريث تفصيله موجود في القرآن الكريم لذلك استند المأمون على ما حفظ من القرآن وعلمه في الحديث والفقه على حد سواء .

٤ . شعره :

برع المأمون في الشعر كما برع في غيره من العلوم والمعارف ، فقد كانت له معرفة فيه من حيث الألفاظ وما تؤدي إليه المعاني على اختلاف المتكلمين في اللغة وبلاغتها ، ومن شعره الذي أوصى به أن يكتب على قبره :

الموت أخرجني من دار مملكتي ... فالقبر مضطجعي من بعد تتريفِ

لله عبد رأى قبره فاعبره ... وخاف من بعده ريب التصاريفِ

---

(١) العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ج٣ ، ص٤٤٠-٤٤١ .

(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٢٩٠-٢٩١ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص٥٤ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج١٥ ، ص٢٣٠ ؛ العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ج٣ ، ص٤٤٠-٤٤١ .

هذا مصير بني الدنيا وإن جمعوا ... فيها وغرهم طول التساويفِ
استغفر الله من جرمي ومن زللي ... وأسأل الله نوراً يوم توقيفي[١]

هذا شعراً قاله عندما قرب أجله ، وأما ما قيل في ما جمع من مكارم الأخلاق والعفو ، فيما قيل كان المأمون أديباً شاعراً حكيماً كريماً ، وأنه قال لعلي بن صالح : أريد رجلاً من أهل الشام يجالسني فالتمست ذلك فأدخلته الى المأمون ، فلما سلم استعدناه وكان في مجلس المسامرة ، فقال : إني أردتك لمجالستي ، فقال الشامي : إن الجليس يا أمير المؤمنين إذا كانت ثيابه دون ثياب جليسه يلحقه لذلك غضاضة ، قال : فأمر المأمون أن يخلع عليه ، فقال يا أمير المؤمنين : إذا كان قلبي متعلقاً بعيالي فما تكون محادثتي؟ ، فأمر بخمسين ألف درهم تحمل الى منزله ، فقال : يا أمير المؤمنين وثالثة ، فقال وما هي؟ ، فقال : دعوت الى شيء يحول بين المرء وعقله فإن كانت مني هفوة يغفرها أمير المؤمنين ، قال : لك ذلك ، وكانت الثالثة منه تمام الكرم ، ومن حلمه أنه عفا عن عمه إبراهيم عجزه القوم من أهله وأكثرهم لاموه فقال :

لما رأيت الذنوب جلّت ... عن المكافاة بالعقاب
صيرت فيها العقاب عفواً ... أحرى من الضرب للرقاب
أرجو بذاك الصلاح جهدي ... وعفو ذي الأنعم الرغاب[٢]

كان المأمون حازماً في ملكه ودولته يهابه الجميع لسطوته والى جانب ذلك حلم يتميز به وعفو ليس له نظير ، فقد أوتي بإبراهيم بن المهدي عمه وكان يطلبه ثم أحضر حتى وقف بين يديه فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال أمير المؤمنين : السلام عليك استغواك الشيطان حتى حدثت نفسك بالأباطيل وبما ينقطع منه الأعناق؟ ، فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين مهلاً مهلاً فإن ولي الثأر محكّم في القصاص والعفو أقرب للتقوى[٣] ، ولك من رسول الله ﷺ قرابة وشرف وعدل السياسة ومن تناوله الاغترار بما مد له من أسباب العدل والرجاء أمن معاداة الدهر على نفسه وهجمت به الأيام على التلف ، وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب كما جعل كل ذي ذنب

---

(٣) ابن اعثم ، احمد بن محمد بن علي الكوفي أبو محمد (ت،نحو ٣١٤هـ/٩٢٦م) ، الفتوح ، تحقيق : علي شيري ، دار الأضواء ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٩١م) ، ج٨ ، ص٤٣٤ .

(١) ابن اعثم ، الفتوح ، ج٨ ، ص٤٣٥ .

(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٧ ، ص١٥٥ .

دونك فإن أخذت أخذت بحقك وإن عفوت ففضلك والفضل بك أولى يا أمير المؤمنين وأنشأ يقول :

ذنبي إليك عظيم وأنت أعظم منه ... فجد بحقك أولاً فاصفح بعفوك عنه[١]

إن لم أكن في من الكرم فكن هو[٢] .

قال : فرفرف الدمع في عيني المأمون ثم قال : يا إبراهيم القدرة تذهب بالحفيظة والندم توبة وبينهما عفو الله وهذا أعظم مما يحاول وأكبر مما يؤمل ، ولقد جئت الى العفو حتى ظننت وخفت أن لا أوجر عليه[٣] .

وكان يقول الشعر في مقتبل عمره عندما كان هارون الرشيد خليفة للمسلمين ، وذات مرة أراد الرشيد سفراً فأمر الناس أن يتأهبوا وأعلمهم أنه خارج بعد الأسبوع فمضى الأسبوع ولم يخرج فاجتمعوا الى المأمون فسألوه أن يستعلم ذلك ولم يكن الرشيد يعلم أن المأمون يقول الشعر فكتب إليه المأمون[٤] :

يا خير من دبت المطيء به ... ومن تقدى بسرجه فرس

هل غاية في المسير نعرفها ... أم أمرنا في المسير فلتبس

ما علم هذا إلا الى ملك ... من نوره في الظلام نقتبس

إن سرت سار الرشاد متبعاً ... وإن تقف فالرشاد محتبس

فقرأها الرشيد فسر بها ووقع فيها يا بني ما أنت والشعر أما علمت أن الشعر أرفع حالات الدنى وأقل حالات السري والمسير إلى ثلاث إن شاء الله[٥] ، قال المعافى[٦] :

---

(٣) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٤٢٥-٤٢٦ .

(١) وعند ابن الجوزي أورد : إن لم أكن في فعالي // من الكرم فكنه . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص٢١٣ .

(٢) ابن اعثم ، الفتوح ، ج٨ ، ص٤٢٦ ؛ ابن شاكر ، فوات الوفيات ، ج٢ ، ص٢٣٦ .

(٣) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٢٨٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٣٣ ، ص٢٨٥ .

(٥) المعافى : المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد بن داود أبو الفرج النهرواني القاضي المعروف بابن طرار ، كان يذهب الى مذهب محمد بن جرير وكان أعلم الناس في وقته بالفقه والنحو واللغة وأصناف الأدب ، توفي سنة تسعين وثلاثمائة . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٥ ، ص٣٠٨ .

قول المأمون في شعره ومن تقدى استمر[١] ، كان المأمون له معرفة ثاقبة في الشعر لاسيما في مدلولاته اللفظية وتبين ذلك من خلال ، ما ذكره صاحب تاريخ بغداد إن محمد بن زياد الإعرابي[٢] قال : بعث إليَّ المأمون فصرت إليه وهو في بستان يتمشى مع يحيى بن أكثم فرأيتهما موليين فجلست ، فلما أقبلا قمت فسلمت عليه بالخلافة فسمعته يقول ليحيى : يا أبا محمد ما أحسن أدبه رأنا موليين فجلس ثم رأنا مقبلين فقام ، ثم رد عليَّ السلام وقال : يا محمد أخبرني عن أحسن ما قيل في الشراب ، فقلت : يا أمير المؤمنين قوله :

تريك القذى من دونها وهي دونه ... إذا ذاقها من ذاقها يتحطق[٣]

فقال الشعر منه الذي يقول يعني أبا نؤاس :

فتمشت في مفاصلهم ... كتمشي البرء في السقمِ

فعلت في البيت إذ مزجت ... مثل فعل الصبح في الظلمِ

واهتدى ساري الظلام بها ... كاهتداء السفر بالعلمِ[٤]

فقلت : فائدة يا أمير المؤمنين ، فقال : أخبرني عن قول هند بنت عتبة : نحن بنات طارق نمشي على النمارق[٥] ، من طارق هذا؟ ، فنظرتُ في نسبها فلم أجده ، فقلت : يا يا أمير ألمؤمنين ما أعرف في نسبها ، فقال : إنما أرادت النجم وانتسبت إليه لحسنها[٦] .

---

(٦) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٢٨٥ .

(١) محمد بن زياد الإعرابي أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الإعرابي كان مولى لبني هاشم لأنه من موالي العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان أبوه عبداً سندياً ، وكان من أكابر أئمة اللغة المشار إليهم في معرفتها ، له من التصانيف كتاب النوادر وهو كبير ، وكتاب الأنواء ، وكتاب صفة النحل وكتب أخرى ، توفي ابن الإعرابي سنة ثلاثين ومائتين ، وقيل : سنة إحدى وثلاثين ، وقيل : سنة اثنين وثلاثين ومائتين ، وقد بلغ من العمر إحدى وثمانين سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام . الحموي ، معجم الأدباء ، ج٦ ، ص٢٥٣٠-٢٥٣٤ .

(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٣ ، ص٢٠١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٠١ .

(٤) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١ ، ص٣٩٦ .

(٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٣ ، ص٢٠١ .

فقلت : فائدتان يا أمير المؤمنين ، فقال : أنا بؤبؤ هذا الأمر وابن بؤبؤه ، ثم دحا إليَّ بعنبره وكان يقلبها في يده بعتها بخمسة آلاف درهم[١] .

٥ . شيوخه :

عرف عن المأمون حبه للعلم والعلماء والجد في طلبه ، إلا أنه لم يقم بالرحلة ي طلب العلم كما كان يفعل في زمانه وذلك بسبب موقعه الاجتماعي والسياسي المتمثل بالخلافة الإسلامية ، فأبوه هارون الرشيد خليفة المسلمين وكذلك أخيه الأمين ، لذلك كان العلماء بحضرتهم وبين أيديهم فأتخذ هارون الرشيد لهؤلاء الأبناء المعلمين والمؤدبين والنحويين وأتى بهم إلى دار الخلافة ليقوموا بتأديب أولاده منذ سن مبكرة ، ومن مختلف البلدان والتخصصات فمنهم من كان بارعاً باللغة وآدابها من نحو وأدب وشعر ، ومنه من تخصص بالتاريخ بكافة طبقاته ، فكان العلم والعلماء بين أيدي أبنائه فلا حاجة الى رحلة أو غيرها ، فتعلموا العلم في مقر الخلافة التي زخرت بكافة أصناف العلوم والمعارف متمثلة بالشيوخ الذين أخذ عنهم المأمون ، لذلك كانت ثقافة المأمون عالية جداً بحيث أنه أبهر معلميه في كافة صنوف العلم والمعرفة ، فقد كان ذا سياسة ودهاء وذا علم وبراعة في كافة العلوم الإنسانية ، إذ تعدى ذلك إلى العلوم العقلية المتمثلة بآراء الفلاسفة والمتكلمين ، وكذلك التطلع إلى العلوم الصرفة المتمثلة بعلم الكيمياء والطب ، ودليل ذلك من خلال مجالس المناظرة وحلقات الذكر التي كانت تعقد في مجلسه ، ويحضر عدد كبير من العلماء وبمختلف العلوم سواء كانت علوم عقلية أم نقلية أم تطبيقية ، واستناداً إلى ما تقدم سنحاول أن نضع ترجمة مختصرة لأهم العلماء الذين تتلمذ على أيديهم الخليفة المأمون وهم على النحو الآتي :

١ . أبو جعفر هارون بن المهدي الرشيد (ت١٩٣هـ/٨٠٨م) :

الخليفة أبو جعفر هارون بن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي ، استخلف بعهدٍ معقود له بعد الهادي من أبيهما المهدي في سنة سبعين ومائة بعد الهادي[٢] ، روى عن أبيه وجده ومبارك بن

---

(٧) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٣ ، ص٢٠١ .

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٩ ، ص٢٨٧ .

فضالة[١] ، وكان أنبل الخلفاء وأحشم الملوك ذا حج وجهاد وغزو وشجاعة ورأي ، وأمه أم ولد اسمها خيزران ، كان أبيضاً طويلاً وسيماً إلى السّمن ذا فصاحة وعلم وبصر بأعباء الخلافة وله نظر جيد في الأدب والفقه ، أغزاه أبوه بلاد الروم وهو حدث في خلافته ، وكان مولده في الري[٢] في سنة ثمان وأربعين ومائة ، وقيل : كان يصلي في اليوم في خلافته مئة ركعة الى أن مات ويتصدق بألفٍ وكان يحب العلماء ويعظم حرمات الدين ويبغض الجدل والكلام ويبكي على نفسه وكان ذا وعظ يحب العلماء ويجلهم[٣] ، وعن أبو معاوية الضرير[٤] قال : صب على يدي بعد الأكل شخص لا أعرفه ، فقال الرشيد : تدري من يَصبَّ عليك؟ قلت : لا ، قال : أنا إجلالاً للعلم ، وقال الجاحظ[٥] : اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لغيره ووزراؤه البرامكة وقاضيه القاضي أبو يوسف وشاعره مروان بن أبي حفصة ونديمه العباس بن محمد عم والده وحاجبه الفضل بن الربيع وزوجته زبيدة[٦] ، كان يحج سنة ويغزو سنة[٧] ، قال أبو معاوية الضرير : حدثت الرشيد بقول النبي ﷺ : " وددت لو أني أُقتل في سبيل الله ثم أُحيا ثم أُقتل " ،

---

(٢) مبارك بن فضالة بن أبي أمية القرشي مولى عمر بن الخطاب ﷺ كناية واسم أبيه عبد الرحمن من صالحي أهل البصرة وقرائهم ، مات سنة أربع وستين ومائة ، وكان رديء الحفظ . ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ص٢٤٩ .

(١) الري : مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الخيرات وافرة الغلات والثمرات قديمة البناء ، قال ابن الكلبي : بناها هوشنج بعد كيومرث ، وقال غيره : بناها راز بن خراسان لأن النسبة إليها رازي ، وهي مدينة عجيبة في فضاء من الأرض والى جانبها جبل أقرع لا ينبت شيئاً يقال له : طبرك ، قال : أنه معدن الذهب إلا أن نيله لا يفي بالنفقة عليه ولهذا تركوا معالجته . القزويني ، آثار البلا وأخبار العباد ، ص٣٧٥ .

(٢) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٩ ، ص٢٨٧ .

(٣) أبو معاوية الضرير : واسمه محمد بن خازم مولى لبني عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم رهط سعير بن الخمس ، وكان ثقة كثير الحديث يدلس ، وكان مرجياً ، توفي بالكوفة سنة خمس وتسعين ومائة . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٦ ، ص٣٦٤ .

(٤) الجاحظ : عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ المصنف الحسن الكلام البديع التصانيف ، كان من أهل البصرة وأحد شيوخ المعتزلة ، قدم بغداد وأقام بها مدة ، وكان جد الجاحظ اسود وكان جمالاً لعمرو بن قلع ، توفي في المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٤ ، ص١٢٤ .

(٥) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٩ ، ص٢٨٩-٢٩٠ .

(٦) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٧٣ ، ص٢٨٦ .

فبكى هارون حتى انتحب ، وقال له : يا أبا معاوية ترى لي أن أغزو؟ ، قلت : يا أمير المؤمنين مكانك في الإسلام أكبر ومقامك أعظم ولكن ترسل الجيوش ، وفي سنة تسعين غزا الرشيد الروم وفرق القواد في بلادهم وأقام هو بطوانة[١] ، وجرت على يده فتوحات كثيرة ، واستخلف الرشيد هارون سنة سبعين ومئة وتوفي سنة ثلاث وتسعين ومئة بطوس ، وأتت الخلافة أبنه محمد الأمين وهو ببغداد وتوفي الرشيد وهو ابن ست وأربعين سنة[٢] ، وعندما حضرته الوفاة كان ربما تمشي عليه فيفتح عينيه فيغشى عليه ثم نظر الى الربيع واقفاً على رأسه فقال : يا ربيع :

أحين دنا ما كنت أرجو دنوه ... رمتني عيون الناس من كل جانب
فأصبحت مرحوماً وكنت محسّداً ... فصبراً على مكروه مرّ العواقب
سأبكي على الوصل الذي كان بيننا ... وأندب أيام السرور الذواهب
واعتقل الأيام بالصبر والعزا ... عليك وإن جانبت غير مجانب[٣]

٢ . إسماعيل بن علية (ت١٩٤هـ/٨٠٩م) :

هو إسماعيل بن علية مولى بني أسد وهو إسماعيل بن إبراهيم بن سهم ، وعلية أمه ، كان مولده سنة عشر ومائة ومات سنة ثلاث أو أربع وتسعين ومائة ، وكان من المتقنين وأهل الفضل في الدين[٤] .

٣ . الحجاج بن محمد الأعور (ت٢٠٦هـ/٨٢١م) :

ويكنى أبا محمد مولى لسليمان بن مجالد مولى أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين من أهل بغداد فتحول الى المصيصة بعياله فنزلها سنين كثيرة ثم رجع الى بغداد فمات بها سنة ست ومائتين في خلافة عبد الله بن هارون ، وكان ثقة كثير الحديث عن ابن جريج وغيره ، وقد تغير حين قدم بغداد فمات على ذلك[٥] .

٤ . حماد بن زيد (ت١٧٩هـ/٧٩٥م) :

---

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٧٣ ، ص٢٨٨-٢٨٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ج٧٣ ، ص٣٢١-٣٢٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ج٧٣ ، ص٣٢١ .
(٤) ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ص٢٥٥ .
(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٣٣٩-٣٤٠ .

هو حماد بن زيد بن درهم الأزرق أبو إسماعيل ، وكان درهم جده من سبي سجستان مولى آل جرير بن حازم ، وكان مولده سنة ثمان وتسعين ، وكان من الحفاظ المتقنين وأهل الورع في الدين ممن كان يقرأ حديثه كله حفظاً وهو أعمى ، مات يوم الجمعة في شهر رمضان سنة تسع وسبعين ومائة[١] .

٥ . عباد بن العوام (ت١٨٥هـ/٨٠١م) :

ويكنا أبا سهل[٢] ، وهو عباد بن العوام بن عمر بن عبد الله بن المنذر الكلابي الإمام المحدث الصدوق[٣] ، كان من أهل واسط وكان يتشيع فأخذه هارون أمير المؤمنين فحبسه زماناً ثم خلى عنه وأقام ببغداد وسمع منه البغداديون ، وكان ثقة ينزل بالكرخ على نهر البزارين ، توفي سنة خمس وثمانين ومائة في خلافة هارون أمير المؤمنين[٤] .

٦ . مالك بن أنس (ت١٧٩هـ/٧٩٥م) :

مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي ، وكان أبو عامر أبو جد مالك حليف عثمان بن عبيد الله التيمي القرشي ، كان مولده سنة ثلاث أو أربع وتسعين وكنيته أبو عبد الله من سادات أتباع التابعين وجلة الفقهاء والصالحين ، ممن كثرت عنايته بالسنة وجمعها والذب عنها وقمع من خالفها مؤثراً لسنة رسول الله ﷺ على غيرها من المخترعات الداحضة قائلاً بها دون الاعتماد على المقايسات الفاسدة ، مات سنة تسع وسبعين ومائة[٥] .

٧ . هشيم بن بشر (ت١٨٣هـ/٧٩٩م) :

ويكنى أبا معاوية[٦] ، وهو هشيم بن بشر بن القاسم السلمي أبو معاوية المعلم من متقني الواسطيين وجلة مشايخها ممن كثرت عنايته بالآثار وجمعه للأخبار حتى حفظ

---

(١) ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ص٢٤٨ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ج٧ ، ص٢٣٩ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٢٣٨ .

(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٨ ، ص٥١١ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٢٣٨ .

(٥) ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ص٢٢٣ ؛ التنوخي ، تاريخ العلماء النحويين ، ص٢٣٠ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٢٢٧ .

وصنف وذاكر وحدث ونشر وبث ، كان مولده سنة أربع ومائة ، ومات سنة ثلاث وثمانين ومائة[١] .

٨ . يوسف بن عطية (ت١٨٧هـ/٨٠٣م) :

هو يوسف بن عطية بن باب الصفار الأنصاري السعدي مولاهم أبو سهل البصري الجفري ، رأى محمد بن سيرين ، وروى عن ثابت البناني وسعيد بن عروبة وغيرهم ، وروى عنه احمد بن إبراهيم الموصلي وغيره ، قال البخاري : منكر الحديث ، وقال أبو داود : ليس بشيء ، وقال النسائي : متروك الحديث وليس بثقة ، وقال ابن حبان : يقلب الأخبار ويلزق المتون الموضوعة بالأسانيد الصحيحة لا يجوز الاحتجاج به ، قيل أنه مات سنة سبع وثمانين ومائة[٢] .

٩ . أبو معاوية الضرير (ت١٩٥هـ/٨١١م) :

هو محمد بن حازم مولى بني عمرو بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم رهط سعير بن الخمس ، وكان ثقة كثير الحديث يدلس ، وكان مرجياً ، توفي بالكوفة سنة خمس وتسعين ومائة[٣] .

المحاضرة الرابعة

(٧) ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ص٢٨٠ .

(١) المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣٢ ، ص٤٤٦ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٦ ، ص٣٦٤ .

تلاميذه

روى عن المأمون الكثير من التلاميذ الذين أخذوا عنه العلم لاسيما وأنه قد نشأ النشأة العلمية على يد الكثير من العلماء بكافة علومها ومعارفها من أدب وأخبار وعقليات وعلوم الأوائل وكتبهم[١] ، فكان عالماً فصيحاً وكان يقول : معاوية بن أبي سفيان بعمرهِ وعبد الملك بحجاجه وأنا بنفسي[٢] ، وقد استخرج كتب الفلاسفة واليونان من جزيرة قبرس وقال فيه أبو مشعر المنجم[٣] : كان أماراً بالعدل محمود السيرة ميمون النقيبة فقيه النفس

---

(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص٢٧٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٢٧٤-٢٧٥ .

(٥) ابو معشر المنجم : أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي المنجم المشهور ، كان إمام وقته في فنه ، وله تصانيف المفيدة في علم النجامة صاحب التصانيف ، وقيل : كان محدثاً فمكر به ودخل في النجوم وقد صار ابن نيف وأربعين سنة ، ثم جاوز المائة مات في رمضان سنة اثنتين وسبعين ومائتين . ابن خلكان وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٣٥٨ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٣ ، ص١٦١ .

يعد من كبار العلماء[١] ، لذا أخذ عنه الكثير من التلاميذ وممن روى عنه علمه وسنتطرق لهؤلاء التلاميذ مبينين ذلك من خلال ترجمتهم وحسب ترتيب الحروف الهجائية:

١ . احمد بن إبراهيم الموصلي (ت٢٣٦هـ/٨٥٠م) :

ويكنى أبا علي ويعرف بالموصلي ، روى عن حماد بن زيد[٢] وشريك[٣] وأبي عوامة وغيرهم ، وتوفي ببغداد في شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين ومائتين[٤] .

٢ . احمد بن حارث الشيعي :

لم تزودنا المصادر التاريخية بترجمة وافية عنه سوى ما ذكره ابن نقطة الحنبلي : أخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي بدمشق فيما قرأت عليه قال : أخبرنا أبو القاسم الحريري قال : أخبرنا أبو طالب العشاري قال : أخبرنا محمد بن احمد بن سمعون الواعظ قال : أخبرنا أبو محمد الصوفي قال : حدثنا ابن محمد الطوسي قال : حدثنا احمد بن الحارث الشيعي قال : سمعت المأمون يقول : حدثنا أبو معاوية الضرير سمع الأعمش ، عن مالك بن الحارث قال : قال أبو موسى الأشعري : من كثر صديقه ركب رقاب المدائة[٥] .

٣ . إسحاق بن بشر (ت٢٠٦هـ/٨٢١م) :

هو إسحاق بن بشر بن محمد بن عبد الله بن سالم أبو حذيفة البخاري مولى بني هاشم ، ولد ببلخ واستوطن بخارى فنسب إليها ، وهو صاحب كتاب المبتدأ وغيره ، مات

---

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص٢٢٨-٢٢٩ .

(٢) حماد بن زيد بن درهم الأزرق أبو اسماعيل ، وكان درهم جده من سبي سجستان مولى آل جرير بن حازم ، وكان مولده سنة ثمان وتسعين ، وكان من الحفاظ المتقنين وأهل الورع في الدين ممن كان يقرأ حديثه كله حفظاً وهو أعمى ، مات يوم الجمعة في شهر رمضان سنة تسع وسبعين ومائة . ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ص٢٤١ .

(٣) شريك : شريك بن عبد الله بن أبي نمر القرشي أبو نمر ، وكان أبوه ممن شهد بدراً ، مات بعد الأربعين ومائة ، وكان ربما يهم في الشيء يعد الشيء . ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ص١٣١ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٢٥٦ .

(٥) ابن نقطة الحنبلي ، محمد بن عبد الغني أبو بكر بن شجاع (ت،٦٢٩هـ/١٢٣١م) ، إكمال الإكمال ، تحقيق : عبد القيوم عبد رب النبي ، ط١ ، جامعة أم القرى ، (مكة المكرمة ، ١٤١٠هـ) ، ج٣ ، ص٢٩٦ .

ببخارى سنة ست ومائتين ، حدث عن خلقٍ كثير من العلماء منهم : مالك بن أنس وغيره ، أحاديثه باطلة ، روى عنه الخراسانيون ولم يروِ عنه من البغداديين سوى إسماعيل بن عيسى العطار فإنه سمع منه مصنفاته ورواها عنه ، بعث إليه الرشيد فأقدمه بغداد[١] ، وان يحدث في المسجد المعروف بابن رغبان[٢] .

٤ . جعفر بن أبي عثمان الطيالسي (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م) :

هو جعفر بن محمد بن أبي عثمان الطيالسي البغدادي الإمام الحافظ المجود أبو الفضل الطيالسي البغدادي أحد الأعلام ، سمع من خلقٍ كثير قال أبو بكر الخطيب : كان ثقة ثبتاً صعب الأخذِ حسن الحفظ ، وقال أبو الحسين بن المنادي[٣] : كان مشهوراً بالإتقان والحفظ والصدق ، توفي في شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين[٤] .

٥ . دعبل بن علي الخزاعي (ت٢٤٦هـ/٨٦٠م) :

شاعر زمانه أبو علي الخزاعي له ديوان مشهور وكاتب طبقات الشعراء ، وكان له هجو مقذع ، رأى مالكاً الإمام ، يروي عنه محمد بن موسى البربري[٥] وغيره ، وقيل : هجا المأمون والكبار ، وكان خبيث اللسان والنفس حتى أنه هجا قبيلته خزاعة ، ويقال :

---

(١) الحموي ، معجم الأدباء ، ج٢ ، ص٦٦ .

(٢) مسجد ابن رغبان : في غربي بغداد كان مزبلة ، قال بعض الدهاقين : مر بي رجل وأنا واقف عند المزبلة التي صارت مسجد ابن رغبان قبل أن تبنى بغداد فوقف عليها وقال : ليأتين على الناس زمان من طرح في هذا الموضع شيئاً فأحسن أحواله أن يحمل في ثوبه فضحكت تعجباً ، فما مرت الأيام حتى رأيت مصداق ما قال . الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص١٢٤ .

(٣) احمد بن جعفر بن عبيد الله بن يزيد أبو الحسين المعروف بابن المنادي ، سمع من خلقٍ كثير وكان ثقة ثبتاً أميناً صدوقاً ورعاً حجة فيما يرويه محصلاً لما يليه ، صنف كتباً كثيرة وجمع علوم جمة ولم يسمع الناس من مصنفاته إلا أقلها ، توفي سنة ست وثلاثين وثلاثمائة . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٥ ، ص١١٠ .

(٤) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٣ ، ص٣٤٦-٣٤٧ .

(١) محمد بن موسى بن حماد أبو احمد المعروف بالبربري من أهل الجانب الشرقي ، كان إخبارياً صاحب فهم ومعرفة بأيام الناس ، يقول الخطيب في كتابه : ما جمع أحد العلم ما جمع محمد بن موسى البربري ، توفي ليلة الجمعة في ذي الحجة سنة أربع وتسعين ومائتين . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٤ ، ص٣٩٦-٣٩٧ .

أنه هجا مالك بن طوق[١] فدس عليه من طعنه بحربة مسمومة فمات من الغد سنة ست وأربعين ومائتين ، ويقال : " لامه صاحب له في هجاء الخلفاء ، فقال : دعني من فضولك أنا والله استحلبُ من سبعين سنة ما وجدت من يجود بخشبة "[٢] .

٦ . عبد بن طاهر بن الحسين بن مصعب (ت٢٣٦هـ/٨٥٠م) :

الأمير العادل أبو العباس حاكم خراسان وما وراء النهر ، تأدب وتفقه وسمع من وكيع ويحيى بن الضُّريس والمأمون ،، قلده المأمون مصر وأفريقية ثم خراسان ، وكان ملكاً مطاعاً سائساً مهيباً جواداً ممدحاً من رجال الكمال ، وقيل : " إنه وقع مرة على رقاع لصلاتٍ فبلغت ألفي ألف وسبعمائة ألف ، وقد ارتحل الى بابه أبو تمام وامتدحه وكان يقول : سِمَنُ الكيس ونُبلُ الذكر لا يجتمعان ، ولما مرض تاب وكسر الملاهي وافتك الأسرى ومات سنة ثلاثين ومائتين "[٣] .

٧ . عمرو بن مسعدة (ت٢١٧هـ/٨٣٢م) :

هو عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول بن صول أبو الفصل ، وكان أحد كتاب المأمون أسند الحديث عن أمير المؤمنين المأمون[٤] ، عن عمرو بن مسعدة قال : سمعت المأمون أمير المؤمنين يقول : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن عمه عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " علقوا السوط حيث يراه أهل البيت فإنه أدب لهم "[٥] ، توفي عمرو بن مسعدة سنة سبع عشرة ومائتين[١] .

---

(٢) مالك بن طوق بن عتاب بن زافر بن شريح بن مرة بن عبد الله بن عمرو بن كلثوم أحد أجواد العرب وممدحيهم ، ولي أمرة الشام والأردن في ولاية الواثق ثم في ولاية المتوكل ، وكان من السخياء المشهورين ، وكان يفتح بابه كل يوم في رمضان بعد صلاة المغرب وينادي مناديه الإفطار رحمكم الله الإفطار رحمكم الله ، توفي مالك في شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين بالرحبة . ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ج٢٤ ، ص٥٠-٥٤ .

(٣) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١١ ، ص٥١٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٦٨٥ .

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٤ ، ص١١١ .

(٢) الطبراني ، سليمان بن احمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم (ت،٣٦٠هـ/٩٧٢م) ، المعجم الأوسط ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، (القاهرة ، ١٤١٥هـ) ، ج٤ ، ص٣٤١ ؛ المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، ط٢ ، (القاهرة ، د.ت) ، ج١٠ ، ص٢٨٤ ؛ الأصبهاني ، أبو نعيم احمد

٨ . يحيى بن أكثم (ت٢٤٢هـ/٨٥٦م) :

يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي المروزي البغدادي ، ولد في خلافة المهدي ، له رحلة ومعرفة ، حدث عنه الترمذي وآخرون ، وكان من أئمة الاجتهاد ، وله تصانيف منها : كتاب التنبيه ، قال الحاكم : من نظر في التنبيه له عرف تقدمه في العلوم ، كان واسع العلم بالفقه كثير الأدب حسن العارضة قائماً بكل معضلة غلب على المأمون حتى لم يتقدمه عنده أحد مع براعة المأمون في العلم ، وكانت الوزراء لا تبرم شيئاً حتى تراجع يحيى ، ولاه المأمون قضاء بغداد وكان يقول : " من قال القرآن مخلوق يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه ، ولما استخلف المتوكل حيَّر يحيى في مرتبة ابن أبي داود وخلع عليه خمس خلعٍ ، مات بالربذة منصرفة من الحج يوم الجمعة في ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين ومائتين ، قال ابن أخته : بلغ ثلاثاً وثمانين سنة "[٢] .

٩ . اليزيدي (ت٢٠٢هـ/٨١٧م) :

أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي المعروف باليزيدي المقرئ النحوي اللغوي صاحب أبي عمرو بن العلاء المقرئ البصري وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة بعده ، سكن بغداد وحدث بها عن أبي عمرو بن العلاء وغيره ، وروى عنه ابنه محمد وإسحاق بن إبراهيم الموصلي وجماعة من أولاده وحفدته وغيرهم ، وكان يؤدب أولاد يزيد بن منصور بن عبد الله بن يزيد الحميري خال المهدي وإليه كان ينتسب ، ثم أتصل بهارون الرشيد فجعل ولده المأمون في حجره فكان يؤدبه ، وكان ثقة وهو أحد القراء الفصحاء العالمين بلغات العرب والنحو ، وكان صدوقاً وله التصانيف الحسنة والنظم الجيد وشعره جيد ، وصنف كتاب النوادر في اللغة على مثال كتاب نوادر الأصمعي الذي صنفه لجعفر البرمكي ، وأخذ علم العربية وأخبار الناس عن أبي عمرو والخليل بن احمد ومن كان معاصرهما ، ولليزيدي بنين وكلهم علماء أدباء وشعراء ورواة لأخبار الناس وكلهم ألف في اللغة العربية ، توفي سنة اثنتين ومائتين رحمه الله تعالى[٣] .

بن عبد الله بن احمد (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م) ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٤٠٩هـ) ، ج٧ ، ص٣٣٤ .

(٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٤ ، ص١١١ .

(٤) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٢ ، ص٥-١٥ .

(١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٦ ، ص١٨٣-١٨٩ .

المحاضرة الخامسة
الحياة السياسية للمأمون

- كتاب هارون الرشيد بولاية العهد لأبنائه :

قبل التطرق الى الحياة السياسية للمأمون لابد لنا أن نبين كتابة العهد الذي قام به أمير المؤمنين هارون الرشيد في كتابة العهد لأبنائه وذلك عندما أراد الحج سنة ست وثمانين ومائة ، وكان معه في حجه ابنيه محمداً الأمين وعبد الله المأمون وليي عهده ، فبدأ بالمدينة ليعطيهم أعطياته وقد كانوا يقومون إليه ويعطيهم عطاءه ثم الى محمد فيعطيهم عطاءً ثانياً ثم الى المأمون فيعطيهم العطاء الثالث ، ثم إذا صار الى مكة أعطى أهلها فبلغت الأعطيات الى وصوله مكة ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار[١] .

وكان الرشيد قد ولى الأمين العراق والشام وولى آخر المغرب وضم الى المأمون من همذان الى آخر المشرق[٢] ، بايع لأبنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون ولقبه المؤتمن وضم إليه الجزيرة والثغور والعواصم وكان في حجر عبد الملك بن صالح[٣] وجعل خلعه

---

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٢٧٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٣٤٣-٣٤٤ .

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٣٤٤ .

(٢) عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو عبد الرحمن الهاشمي ، كانت أمه أمة لمروان بن محمد فشراها أبوه صالح ولي دمشق من قبل هارون الرشيد ثم حبسه خشية وثوبه عل الخلافة ، ثم أطلقه الأمين وولاه الشام والجزيرة سنة أربع وتسعين ،

واثباته الى المأمون[١] ، وعندما وصل الرشيد الى مكة ومعه أولاده والفقهاء والقضاة والقواد كتب كتاباً أشهد عليه بالوفاء للأمين وعلق الكتابين في الكعبة وجدد العهود عليها في الكعبة ، ولما فعل الرشيد ذلك قال الناس : " قد ألقى بينهم شراً وحرباً وخافوا عاقبة ذلك فكان ما خافوه "[٢] .

وعندما انتهى هارون الرشيد من كتابة العهد وأخذ البيعة من الخاصة والعامة بما اشترط عليهم من الوفاء جعل الكتابين في البيت الحرام بعد أخذه البيعة على محمد وإشهاده عليه بها الله وملائكته ومن كان في الكعبة من سائر ولده وأهل بيته ومواليه وقواده ووزرائه وكتابه وغيرهم ، وكانت الشهادة بالبيعة والكتاب في البيت الحرام ، وتقدم الى الحجبة وحفظهما ومنع من أراد إخراجهما والذهاب بهما ، وكان الكتابان قد أجهدا الفقهاء والقضاة في آرائهم فيه[٣] .

قد ذكرنا في كتابة العهد من قبل أمير المؤمنين هارون الرشيد لأبنائه ومخافة الناس في ذلك ، وإن ذلك شراً قد أُلقي على الأمين والمأمون بكتابة العهد إليهما وهذا مما خافوا عاقبته وخافوه ، ويذكر الدينوري في كتابه ذكر عن الأصمعي قال : " دخلت على الرشيد وكنت غبت عنه حولين بالبصرة فأومأ إليَّ بالجلوس قريباً منه فجلست قليلاً ثم نهضت فأومأ إليَّ أن أجلس فجلست حتى خف الناس ، ثم قال لي : يا أصمعي ألا تحب أن ترى محمداً وعبد الله؟ قلت : بلى يا أمير المؤمنين إني لأحب ذلك ، وما أردت القيام إلا إليهما لأسلم عليهما ، قال : تكفى ، ثم قال : عليَّ بمحمد وعبد الله فانطلق الرسول وقال : أجيبا أمير المؤمنين؟ ، فأقبلا كأنهما قمراً أفق قد قاربا خطاهما وضربا ببصرهما الأرض حتى وقفا على أبيهما فسلما عليه بالخلافة وأومأ إليهما فدنيا منه فأجلس محمداً عن يمينه وعبد الله عن شماله ، ثم أمرني بمطارحتهما ، فكنت لا أُلقي عليهما شيئاً من فنون الأدب إلا أجابا فيه وأصابا ، فقال : كيف ترى أدبهما؟ قلت : يا أمير المؤمنين ما

وولي المدينة والصوائف في أيام الرشيد ، وقيل : أنه سعي به الى الرشيد وأنه يطلب الخلافة ، وقد قال عنها : هو الله أن الملك ما تمنيته ولا نويته ولا ابتغيته ، توفي سنة ست وتسعين ومائتين . ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ج١٥ ، ص١٩٤-١٩٨ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٣٤٤ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٢٧٧-٢٧٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٣٤٤ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٢٧٧-٢٧٨ .

رأيت مثلهما في ذكائهما وجودة ذهنهما فأطال الله بقائهما ورزق الأمة من رأفتهما ومعطفتهما فضمهما الى صدره وسبقته عبره حتى انحدرت دموعه ثم أذن لهما حتى إذا نهضا وخرجا قال : كيف بكم إذا ظهر تعاديهما وبدا تباغضهما ووقع بأسهما بينهما حتى تسفك الدماء ويود كثير من الأحياء أنهم كانوا موتى ، فقلت : يا أمير المؤمنين هذا شيء أثرته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء في أمرهما[١] ، فلما كان بعد ذلك إلا أن قام بكتابة العهد لأبنائه لاسيما عند ذهابه الى الحج كما بينا سنة ست وثمانين ومائتين .

وبعد أن كتب الرشيد كتابه وأشهد عليه أهل المواسم على ما كتب وأفرد ابنه محمداً بالأمر وجعل عبد الله من بعده أنصرف الى العراق فدعا بأنبه المأمون وعقد له عقداً بيده وولاه من باب الري الى أقصى خراسان وسجستان وأفرد بها في حياته بعد موته وأخذ على ابنه العهود والمواثيق أنه لا يعزله عنها ولا يبعث ليه كتاباً ، وكتب له أيضاً بالعراق كتاباً مؤكداً وثيقاً على محمد وعبد الله وأمر المأمون له بالسمع والطاعة لأخيه الأمين وأن يملك منهما صاحبه بما يحتاج إليه من خيل ورجال عند حاجته إليه[٢] ، وضم إليه قواد معروفون مثل هرثمة بن أعين والوليد بن المسيب وعبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ وغيرهم من القواد ، ثم أنه قسم بينهم الأموال والسلاح وأخذ عليهما العهود والمواثيق بما شرطا على أنفسهما[٣] .

وفي تلك السنة من سنة سبع وثمانين ومائة[٤] ، قتل جعفر بن يحيى البرمكي[٥] وقد أعيا قتله من حضر فكيف من غاب[٦] ، ثم أن الرشيد أمر بإحضار أولاد جعفر من

---

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٣٨٨-٣٨٩ .

(٢) ابن اعثم ، الفتوح ، ج٨ ، ص٣٩٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٣٩٣ .

(١) ابن اعثم ، الفتوح ، ج٨ ، ص٣٩٣ .

(٢) جعفر بن يحيى البرمكي : كان في علو من القدر ونفاذ الأمر وجلالة المنزلة عند هارون الرشيد ، وكان سمح الأخلاق طلق الوجه ظاهر البشر وكان في السخاء أشهر من أن يذكر ، وكان من ذوي الفصاحة والبلاغة ، قيل : أنه وقع في ليلة يحضره هارون الرشيد زيادة ألف توقيع ونظر في جميعها فلم يخرج شيء عن موجب الفقه وكان أبوه قد ضمه الى أبي يوسف القاضي ولكن هارون الرشيد غضب عليه في آخر أمره فقتله ، وكان قتله في صفر في أول يوم منه سنة سبع وثمانين ومائة وصلبه على الجسر ببغداد . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٩ ، ص٣٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٢٩٥ .

الحجاز وأهلكهم وأهلك أمهم ، وأما ما كان من أمر الفضل[١] فأنه قتل في الحبس ، وأما يحيى فبقي مدة في الحبس وطمع في الحياة بعد أولاده فكتب الى الرشيد قصيدة يقول فيها : قل للخليفة ذي الصنائع والعطايا القاشية // وابن الخلائف من قريش والملوك الهادية // إن البرامكة الذين رموا لديك بداهية // عمتهم لك سخطة لم تبقِ منهم باقية // بعد الإمارة والوزارة والأمور العالية ، الى أن قال في آخرها : يا عكفة الملك الرضي عودي علينا ثانية ، فكتب الرشيد في جوابه : يا آل برمك إنما كنتم ملوكاً عاتية // فطغيتم وكفرتم وجحدتم نعمائية // هذا الجزاء لمن عصى معبود وعصانية[٢] ، ثم كتب تحت الأبيات ، فلما قرأ يحيى البيات أيس من نفسه وسمّوه بعد ذلك بأيام[٣] ، ومات في سجنه .

يعزو الكثير من الباحثين أسباباً عديدة لما آل إليه البرامكة على يد أمير المؤمنين هارون الرشيد ، ولكن هذه السباب والحكايات يعتريها الدقة في النقل والتثبيت منها لاسيما وأنها تتصل بشخص الأمير هارون الرشيد ، ولكن يمكننا القول : أن هذه الدعايات التي ينقلها المؤرخون إنما كتبت بحسب أهواء وميول الذين ذكروا هذه الروايات التي أدت الى البطش بالبرامكة ، ولكن يذكر الطبري في كتابه وذكر أبو محمد اليزيدي وكان فيما قيل من أعلم الناس بأخبار القوم قال : من قال إن الرشيد قتل جعفر بن يحيى بغير سبب يحيى بن عبد الله بن حسن فلا تصدقه ، وذلك أن الرشيد دفع يحيى الى جعفر فحبسه ثم دعا به ليلة من الليالي فسأله عن شيء من أمره فأجابه الى أن قال : أتقِ الله في أمري ولا تتعرض أن يكون خصمك غداً محمد ﷺ فوالله ما أحدثت حدثاً ولا آويت محدثاً فرق عليه وقال له : أذهب حيث شئت من بلاد الله ، فقال : وكيف اذهب ولا آمن أن أ،خذ بعد قليل فأرد إليك أو الى غيرك ، فوجه معه من أداه الى مأمنه[٤] ،

---

(٤) الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي أخو جعفر ، كان رضيع هارون الرشيد وولاه الرشيد أعمالاً جليلة بخراسان وغيرها ، وكان أندى كفاً من أخيه جعفر إلا أنه كان فيه كبر شديد ، وحبسه الرشيد مع أبيه حتى ماتا ، وكان وفاة الفضل سنة اثنتين وتسعين ومائة قبل موت الرشيد بشهور وذلك في شهر رمضان . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٤ ، ص٢٩٢ .

(٥) ابن العمراني ، الأنباء في تاريخ الخلفاء ، ص٨٤-٨٥ .

(٧) ابن العمراني ، الأنباء في تاريخ الخلفاء ، ص٨٥ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٢٨٩ .

بلغ الخبر الفضل بن الربيع[١] من عين كانت له عليه من خاص خدمة فعلا الأمر فوجده حقاً وانكشف عنده فدخل على الرشيد فأخبره فأراه أنه لا يعبأ بخبره[٢] ، ومن خلال ذلك يتبين لنا أن الأخبار والروايات متضاربة في الأسباب التي أدت إلى البطش بالبرامكة وهي كثيرة .

ومن خلال ما تقدم يمكننا القول أن السبب الرئيسي هو الاستبداد الذي استبد به البرامكة وسيطرتهم على كافة مرافئ الحياة وتقلد المناصب العالية في الدولة الإسلامية وكثرة العطايا التي أعطوها بدون وجه حق ، وهذا مما لا يتماشى مع فلسفة الخلافة في إدارة الحكم والعدل بين الرعية ، ومهما يكن من أمر فإن الخليفة الرشيد قد توافر لديه العديد من الأسباب في نكبة البرامكة ، منها ما نقله الطبري عن سبب قتل جعفر بن يحيى من قبل الرشيد ما ذكر عن بختيشوع بن جبريل[٣] ، عن أبيه أنه قال : إني لقاعد في مجلس الرشيد إذ طلع يحيى ين خالد وكان فيما مضى يدخل بلا إذن ، فلما دخل وصار بالقرب من الرشيد وسلم رد عليه رداً ضعيفاً فعلم يحيى إن أمرهم قد تغير[٤] ، قال : ثم أقبل عليَّ الرشيد فقال : يا جبريل يدخل عليك وأنت في منزلك أحدٌ بلا إذنك؟ ، فقلت : لا ولا يطمع في ذلك ، قال : فما بالنا يدخل علينا بلا إذن؟ ، فقام يحيى فقال :

---

(٢) الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة ، واسم أبي فروة كيسان ، وكنيته الفضل أبو العباس وكان حاجب هارون الرشيد ومحمد الأمين ، وكان أبوه حاجب المنصور والمهدي ، ولما أفضت الخلافة الى الأمين قدم الفضل عليه من خراسان وكان في صحبة الرشيد الى أن مات بطوس ، فأكرم الأمين الفضل وألقى أزمة الأمور إليه وعول في مهماته عليه وقد اسند الحديث عن المنصور والمهدي أميري المؤمنين ، توفى الفضل في يوم الاثنين سلخ ذي القعدة من سنة ثمان ومائتين . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٤ ، ص٣٠٣ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٢٨٩ .

(١) بختيشوع بن جبريل : الطبيب النصراني صاحب التصانيف خدم المأمون ومن بعده الخلفاء ، نكبه المتوكل مرة ونفاه ثم ردّه الى المطبق وقيده وغله بمائة رطل بالنندارى حتى هلك ، وكان يضاهي المتوكل في اللبس والفرس ، ونقل له كتباً كثيرة من كتب جالينوس ، وكان القاضي احمد بن أبي دؤاد والوزير بن الزيات يعملان عليه عند المتوكل حتى نكبه ، وبلغ من عظم المنزلة والحال وكثرة المال ما لم يبلغه أحد من سائر الأطباء الذين كانوا في عصره ، له من الكتب الحجامة على طريق المسألة والجواب . الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٩ ، ص٢٤٠-٢٤١ ؛ كحالة ، عمر رضا ، معجم المؤلفين ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، بلات) ، ج٣ ، ص٣٩ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٢٨٦ .

يا أمير المؤمنين قدمني الله قبلك والله ما ابتدأت ذلك الساعة وما هو إلا شيء كان خصني به أمير المؤمنين ورفع به ذكري حتى أن كنت لأدخل وهو في فراشه مجرداً حيناً وحيناً في بعض إزاره وما علمت أن أمير المؤمنين كره ما كان يحب وإذ قد علمت فإني أكون عنده في الطبقة الثانية من أهل الإذن أو الثالثة إن أمرني سيدي بذلك ، قال : فاستحيا ، قال : وكان من أرق الخلفاء وجهاً وعيناه في الأرض ما يرفع إليه طرفه ، ثم قال : ما أردت ما تكره ولكن الناس يقولون ، قال : فظننت أنه لم يسغ له جواب يرضيه ، فأجاب بهذا القول ثم أمسك عنه وخرج يحيى[١] ، ولما يجعلنا نتساءل عن أمر الرشيد عندما أمر بالنداء في جميع البرامكة أن لا أمان لمن آواهم إلا محمد بن خالد وولده وأهله وحشمه فإنه استثناهم لما ظهر من نصيحة محمد له وعرف براءته مما دخل فيه غيره من البرامكة[٢] .

وهذا مما يدلل بأن الرشيد لم يعاقب البرامكة بدون سبب لاسيما أنه قد عفا عن محمد بن خالد دون غيره لعلمه ببراءته ، وهذا ما قال به أبو محمد اليزيدي : بأن الرشيد لا يقتل أحداً بدون سبب[٣] .

- الرشيد ورؤياه التي رآها قبل موته :

وفي مرض الرشيد الذي بسببه توفي ما يذكره جبريل بن بختيشوع : أنه كان مع الرشيد في الرقة ، وكان أول من يدخل عليه في كل يوم ، قال : فدخلت عليه يوماً فسلمت فلم يرفع رأسه وطرفه ووجه ورأيته عابساً مهموماً فوقفت بين يديه ملياً وهو على تلك الحالة ، فلما أطال ذلك أقدمت عليه وقلت : جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين فيا سيدي ما حالك هكذا؟ ، فقال : رأيت هذه الليلة رؤيا أهالتني وأفزعت قلبي ، فقلت : فرّجت عني يا أمير المؤمنين[٤] ، ثم دنوت وقبلت رجليه وقلت : هذا يكون من نجادات رديئة أو من السوداء ، وإنما هي أضغاث أحلام ، قال : فأقصها عليك وهي إني رأيت كأني جالس على سريري هذا إذ بدت من تحتي ذراع كنت أعرفه وكف أعرفها لا أفهم اسم صاحبها وفي الكف تربة حمراء ، فقال قائل : أعرفه ولا أرى شخصه هذه التربة

---

(٣) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٢٨٧-٢٨٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٢٩٦ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٢٨٩ .

(٢) ابن اعثم ، الفتوح ، ج٨ ، ص٤٠٠ .

التي تدفن فيها ، فقلت : وأين هذه التربية؟ ، قال : بطوس[١] وغابت اليد وأنقطع الكلام وانتبهت قال ، فقلت : يا سيدي هذه والله رؤيا بعيدة وأحبك أخذت مضجعك وفكرت في خراسان[٢] وفي حربها ، قال : وقد كان ذلك ، قلت : لذلك جارك هذا الفكر ، ثم لم أزل به أطيب نفسه بضروب الحيل حتى سلى وأنبسط فمضت بعد ذلك أيام فنسى ونسيت تلك الرؤيا ، ثم قدر الله تعالى مسيرنا الى خراسان حين تحرك رافع بن الليث فخرج فلما صار في بعض الطريق ابتدأت به العلة حتى دخلنا طوس ونزلنا في منزل حميد بن عبد الله ، فبينما أمير المؤمنين في بستان ذلك القصر متمرض إذ ذكر تلك الرؤيا فوثب متحاملاً يقوم ويسقط ، فقال : يا جبريل تذكر رؤياي في طوس ثم رفع رأسه الى مسرور الخادم وقال : جب لي تربة هذا البستان؟ فمضى مسرور وأتى وفي كفه من التربة حاسراً عن ذراعيه فلما نظر إليها قال : هذه والله الذراع التي رأيتها في الشام وهذه التربة الحمراء فأقبل على البكاء والنحيب ثم مات بعد ثلاثة أيام[٣] ، ودفن في ذلك البستان نصف الليل لثلاث خلون من شهر جمادى الأولى من سنة ثلاث وتسعين ومائة ، واستخلف ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة وهو يومئذ ابن اثنين وعشرين سنة ، وتوفي ليلة الأحد وهو ابن خمس وأربعين سنة ، فملك ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً وسبعة عشر يوماً وكان مولده بالري[٤] ، وفي ذلك يقول أبو العتاهية[٥] :

---

(٣) طوس : بضم أوله وسين مهملة ، مدينة معروفة ، قال عبد الله بن إبراهيم الأجلي : هي ما بين الري ونيسابور في أول عمل خراسان وفيها دفن هارون الرشيد . البكري ، معجم ما استعجم ، ج٣ ، ص٨٩٨ .

(٤) خراسان : بلد مشهور شرقها بلاد ما وراء النهر وغربها فهستان فصبتها مرو وهراة وبلخ ونيسابور ينسب إليها الكثير من العلماء والفقهاء ، فيها الكثير من العيون والآبار والزرع والأشجار جميلة المنظر طيبة الماء والهواء . ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص٩٧-٩٨ ؛ الهمذاني ، صفة جزيرة العرب ، ص٨٤ ؛ القزويني ، آثار البلاد ، ص٣٦١-٣٦٣ .

(١) ابن اعثم ، الفتوح ، ج٨ ، ص٤٠٠-٤٠١ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٤٠١ .

(٣) أبو العتاهية : أبو إسحاق إسماعيل بن قاسم بن سويد بن كيسان العنزي رأس الشعراء الأديب الصالح الأوحد لقب بأبي العتاهية لاضطراب فيه ، وقيل : كان يحب الخلاعة فيكون مأخوذاً من العتو ، سار شعره لجودته وحسنه وعدم تقعره ، كان أبو نؤاس يعظمه ويتأدب معه لدينه ويقول : ما رأيته إلا توهمت أنه سماوي وإني أرضي ، مدح المهدي والخلفاء بعده وهو القائل :

إن أمير المؤمنين في خلقه ... حن به البر الى مولده

ليصلح الري وأقطارها ... ويمطر الخير بها من يده

وكان ملكه ثلاثاً وعشرين سنة وستة عشر يوماً .

- استخلاف الأمين والمأمون وما وقع بينهما :

ولما مات الرشيد كتب الخبر إلى المأمون وهو يومئذ بمرو[١] ، وكتب بالخبر إلى محمد الأمين وهو يومئذ بمدينة السلام بغداد وصار الأمر إلى ابنه محمد الأمين[٢] .

وفي سنة أربع وتسعين ومائة بويع لمحمد الأمين بن هارون الرشيد بالخلافة في عسكر الرشيد وعبد الله المأمون في مرو ، وكان حمويه مولى المهدي صاحب البريد بطوس قد كتب الى أبي مسلم سلام مولاه وخليفته ببغداد على البريد والأخبار ليعلمه بخبر وفاة هارون الرشيد وتعزيته وتهنأته بالخلافة وهو أول من فعل ذلك ، وكان قدم عليه بعد ذلك رجاء الخادم الذي أرسله صالح بن الرشيد ليخبره الخبر وكان أتاه الخبر في النصف من جمادي الآخرة فأظهره يوم الجمعة وستر الخبر بقية يومه وليلته وخاض الناس في أمره[٣] ، وعندما وصل كتاب صالح بن الرشيد الى محمد الأمين الذي كان نازلاً في قصره بالخلد ، وكان الذي سلمه رجاء الخادم ومضمونه وفاة الرشيد ، وقد تحول الأمين الى قصر أبي جعفر بالمدينة وأمر الناس بالحضور ليوم الجمعة فحضروا وصلى بهم فلما قضيت الصلاة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ونعى الرشيد الى الناس وعزى نفسه والناس ووعدهم خيراً وبسط الآمال وآمن الأسود والأبيض ، وقد بايعه جلة أهل بيته وخاصته ومواليه وقواده ، ثم دخل ووكل ببيعته على من بقي منهم عم أبيه سليمان بن

حسناءُ لا تبتغي حلياً إذا برزت ... لأن خالقها بالحسن حلاّها

قامت تمشي فليت الله حيَّرني ... ذاك التراب الذي مسته رجلاها

توفي أبو الهتاهية في جمادي الآخرة سنة إحدى عشرة ومائتين ، وقيل : سنة ثلاث عشرة ومائتين وله ثلاث وثمانون سنة أو نحوها ببغداد . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص١٩٥-١٩٧ .

(١) مرو : وهي أشهر مدينة في خراسان بناها الاسكندر ذو القرنين ، ينتسب إليها الإمام عبد الله بن المبارك واشتهر فيها الكثير من العلماء والفقهاء . البكري ، المسالك والممالك ، ص٢٢٤-٢٢٩ ؛ القزويني ، آثار البلاد ، ص٤٥٦-٤٦٠ .

(٢) ابن اعثم ، الفتوح ، ج٨ ، ص٤٠١-٤٠٢ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٣٦٥ .

أبي جعفر[١] فبايعهم وأمر السندي بمبايعة جميع الناس من القواد وسائر الجند وأمر للجند ممن بمدينة السلام برزق أربعة وعشرين شهراً وبخواص من كانت له خاصة بهذه الشهور[٢] ، ولما انتظم أمر الأمين ببغداد واستقام حاله فيها حسده أخوه المأمون ووقع الخلاف بينهما[٣] ، وعزم كل واحد منهما بالخلاف على صاحبه فيما كان الرشيد أخذ عليهما العمل به في الكتاب الذي كتبه بينهما[٤] .

أما السبب الذي كان قد أوجب الخلاف بين الأمين والمأمون أن الرشيد عند ذهابه الى خراسان كان قد جدد البيعة للمأمون على القواد الذين معه وأشهد معه من القواد وغيرهم من الناس أن جميع القواد والجند مضمومون الى المأمون وأن جميع المال والسلاح وغير ذلك للمأمون ، فلما بلغ ذلك الأمين أن أباه قد اشتدت علته وما به بعث من يأتي بخبره كل يوم وأرسل بكر بن المعتمر وكتب معه كتباً وجعلها في قوائم صناديق منقورة وألبسها جلود البقر وقال : " لا يظهرنَّ أمير المؤمنين ولا أحد من عسكره على شيء من أمرك وما توجهت فيه ولا ما معك ولو قتلت حتى يموت أمير المؤمنين فإذا مات فادفع الى كل إنسان منهم كتابه "[٥] ، وعندما قدم ابن المعتمر الى هارون الرشيد قال له : ما الذي أتى بك؟ قال : بعثني محمد لأعلم له خبرك وآتيه به ، فسأله : هل معك كتاب؟ فقال له : لا ، فأمر بتفتيش ما معه فلم يجدوا معه شيئاً وهدده بالضرب فلم يقر بشيء فحبسه وقيدوه ، وعندما توفي هارون في تلك الليلة أمر الفضل ابن الربيع أن يذهب الى محبس بكر بن المعتمر فيقرره وإن لم يقر اضرب عنقه ، وعندما تيقن من موت هارون أخبرهم بالكتب وعندها دعا الفضل ببكر بن المعتمر وفك قيوده وأعطاهم

---

(٤) سليمان بن أبي جعفر المنصور ، وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب يكنى أبا أيوب ، حدث عن أبيه وروت عنه ابنته زينب وإليه ينسب درب سليمان ببغداد ، وكانت وفاته سنة تسع وتسعين ومائة وهو ابن خمسين سنة . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٠ ، ص٣١ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٣٦٥ ؛ مسكويه ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، ج٤ ، ص٢٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص٥٠ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص٥٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٣٦٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٣٦٥-٣٦٦ ؛ مسكويه ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، ج٤ ، ص٢٥ .

الكتب ودفع الى كل إنسان كتابه[١] ، وكان في تلك الكتب كتاب من محمد بن هارون الى الحسين الخادم بخطه يأمره بتخلية سبيل بكر بن المعتمر وإطلاقه فدفعه إليه ، وكتاب الى المأمون فاحتبس كتاب المأمون عنده لغيبته بمرو ، وأرسلوا الى صالح بن الرشيد وكان مع أبيه بطوس ، وكان أكبر من يحضره هارون من ولده فأتاهم في ساعته فسألهم عن أبيه هارون فأعلموه وقد جزع جزعاً شديداً ثم دفعوا إليه الكتاب الذي جاء به بكر من أخيه محمد الأمين وكان الذين حضروا وفاة هارون هم الذين غسلوه وصلى عليه ابنه صالح[٢] .

وعندما قرأ القواد والجند وأولاد هارون الكتب التي وردت عليهم من محمد بطوس تشاوروا في اللحاق بمحمد وأحبوه لأجل أهاليهم ومنازلهم[٣] .

وقد كتب محمد نسخة الى أخيه المأمون يحثه بأخذ البيعة عمن قبله من القواد وجنده وخاصته وعامته لأمير المؤمنين محمد ثم لنفسه ثم للقاسم ابن أمير المؤمنين وذلك على الشرط الذي قضاه أمير المؤمنين هارون الرشيد ومن أنكر البيعة أو أتهمته في طاعته فابعث إليَّ برأسه مع خبره وإياك وإقالته فإن النار أولى به[٤] ، وكان محمد الأمين أن بعث الى المأمون أن يكتب الى عمال الثغور وأمراء الأجناد بما طرقه من المصيبة بأمير المؤمنين وأنه ذهب الى جنة الله قائداً لجميع خلفائه وأمرهم أن يأخذوا البيعة على أجنادهم وأن تقرأ الكتب عليهم[٥] .

ومن هنا تبدأ مرحلة جديدة بين الأخوين من عدم تطبيق العهود والشروط التي كان هارون الرشيد قد جعلها بينهما وعدم تسيير الأمور على مسارها الصحيح لاسيما أن الرشيد قد أوصى للمأمون بما له من السلاح والأجناد والأموال ، وحيث أن المأمون كان يهدي الى أخيه خير ما حصل في يده من تحف خراسان ونفائسها لأنه كان يريد أن تكون الأمور على ما رسمت من قبل أمير المؤمنين الرشيد ، ولكن يأتي دور البطانة التي تلتف الى كل من الأخوين لاسيما ما يتمثل به الفضل بن الربيع الذي يوالي الخليفة

---

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٣٦٦ .

(١) مسكويه ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، ج٤ ، ص٢٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٢٨ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٣٦٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٣٦٧-٣٦٨ .

محمد الأمين طمعاً للمنافع الشخصية التي يريدها لاسيما أنه يظاهر الخليفة المتوج والمبايع من قبل الناس ليحضى بالذي في يديه بكل ما يتمناه المرءُ من مكانة اجتماعية واقتصادية على حدٍ سواء ، فكان الفضل بن الربيع وهو الذي يقول : " لا أدع ملكاً حاضراً لآخر لا يدري ما يكون من أمره وأمر الناس بالرحيل ففعلوا ذلك محبة منهم للحوق بأهلهم ومنازلهم ببغداد وتركوا العهود التي كانت أُخذت عليهم للمأمون فانتهى الخبر بذلك الى المأمون بمرو "[١] .

يتبين من ذلك أن الفضل لم يكن هدفه الأساس الحفاظ على الخلافة وحدة المسلمين ، وإنما الهدف هو ما يستطيع الحصول عليه من مكاسب شخصية فلم يكن يهمه أن يكون الوئام والأخوة والصفاء بين هذين الأخوين .

ومن هنا يأتي دور الفضل[٢] الذي جعله المأمون طليق اليد في جميع الأمور لما يمتلكه من حزم وكياسة وتدبير ، وكان يتفانا من أجله في كل ما يكلف به ، إلا أنه أيضاً لعب نفس الدور الذي لعبه الفضل بن الربيع ، إذ كان من أعظم الناس قدراً وأخصهم به[٣] ، فكان هذا أيضاً يريد الوصول الى غاياته التي يريد تحقيقها ، فقد شاور المأمون قواده في نقض العهد الذي قام به الأمين والفضل بن الربيع ، وكان ممن تساورهم ذو الرياستين وأخبرهم الخبر فأشاروا عليه أن يلحقهم في ألفي فارس جريدة فيردهم وسمى لذلك قوم ، فدخل على المأمون الفضل بن سهل فقال له : " إن فعلت ما أشاروا به عليك جعلت هؤلاء هدية الى محمد ولكن الرأي أن تكتب إليهم كتاباً وتوجه إليهم رسولاً فتذكرهم البيعة ونسألهم الوفاء "[٤] ، فما كان من المأمون إلا أن أرسل كتاباً

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٣٧٠ .

(٢) الفصل بن سهل بن عبد الله أبو العباس الملقب ذا الرياستين ، كان من أولاد ملوك المجوس واسلم أبوه سهل في أيام هارون الرشيد وأتصل بيحيى بن خالد البرمكي وضم الفضل بن سهل الى المأمون ، وكان ضمه إليه جعفر بن يحيى ، ويقال : أن الفضل بن سهل أراد أن يسلم فمره أن يسلم على يد الرشيد والمأمون ، فصار وحده الى الجامع يوم الجمعة فأسلم واغتسل ولبس ثيابه ورجع مسلماً وغلب على المأمون لما وصل به للفضل الذي كان فيه ، فوض إليه المأمون لما استخلف أموره كليها وسماه ذا الرياستين لتدبيره أمر السيف والقلم ، توفي سنة اثنين ومائتين اغتاله نفر قد خلوا به فقتلوه . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٤ ، ص٢٩٨ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٣٧١ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٣٧١ .

يأمرهم بما أشار به ذو الرياستين ، فلما وصل الكتاب الى الفضل بن الربيع قال لسهل بن صاعد : إنما أنا واحد منهم وذكر الحسن بن أبي سعيد عن سهل أن عبد الرحمن بن جبلة[١] شد عليه الرمح وأمر على جنبه وقال له : قل لصاحبك : والله لو كنت حاضراً لوضعت الرمح في فيك هذا جوابي ، قال : ونال من المأمون فرجعت بالخبر[٢] .

ومن خلال ذلك يتبين لنا من قول الفضل بن سهل قال : فقلت للمأمون : " أعداء قد استرحت منهم "[٣] ، أنه كان يريد الوصول الى غايته ، وإن هذه البطانة قد سعت بينهما ولعبت دوراً كبيراً في جعل الحقد يستعر بين الأخوين ، وهذا يتبين من خلال نكث الربيع للعهود وسحب الجيش والناس منصرفاً من طوس وتاركاً ما كان الرشيد قد أخذها لعبد الله ، وحيث أنه كان يزين للأمين بخلع المأمون وأن يكتب العهد لأبنه موسى فمكث معه في ذلك الى أن أدخل هذه الفكرة في رأسه وأثناه عما كان قد كتب بين الأخوين ، ولم يكن ذلك رأي محمد الأمين ولا عزمه بل كان فيما ذكر عنه الوفاء لأخويه عبد الله والقاسم بما كان أُخذ عليه لهما والده من العهود والشروط ، فلم يزل الفضل يُصغر في عينه شأن المأمون ويزين له خلعه[٤] ، حتى تمكن من ذلك بمساعدة علي بن عيسى بن هامان وغيره[٥] .

ثم تبدأ مرحلة أخرى بعد هذه المحادثات والمحاورات الكلامية والمراسلات لم نجد نفعاً ودقت الحرب طبولها بين الأخوين ، ونعزو ذلك كله الى البطانة التي كانت تحرق قلب الأخ على أخيه ، كل ذلك من أجل الوصول الى الغايات المنشودة والبقاء مع الخليفة ونعيمه حتى يقضي الله أمراً كان مفعول ، فلم يكن هدف البطانة الخلافة وما يستوجب لها وإنما المصلحة وما يخطط لها .

ثم أن هذه المكاتبات بين الأخوين لم يكن لها نتيجة ، وقد وصف بعض الباحثين ذلك بقوله : " لم يكن لهذه المكاتبات بين الأخوين نتيجة لأن كل منهما سائقٌ بسوقه

---

(١) عبد الرحمن بن جبلة الأنباري : أحد قواد محمد الأمين الذين يعتمد عليهم في مهماته ، وقد سار بجيش أربعين ألف فارس فسار الى همذان فلقيه طاهر فقتله وكسر جيشه . ابن شاكر ، فوات الوفيات ، ج٤ ، ص٤٦-٤٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٣٧١ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٣٧١ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٣٧٤-٣٧٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٣٧٥ .

فللأمين الفضل بن الربيع الذي لم يكن يحب المأمون ولا ولايته ، وللمأمون الفضل بن سهل الذي كان يأمل الخلافة لصاحبه وأن تكون مرو حاضرة الخلافة العظمى وتعود لخراسان عظمتها "[١] .

وثمة أمر لابد من بيانه هو أن الفضل بن الربيع عندما حسّن للأمين خلع المأمون ونكث العهود والمواثيق كان الأمين قد استشار عقلاء أصحابه فنهوه عن ذلك وحذروه عاقبة البغي ونكث العهود والمواثيق وقالوا له : لا تجرّئ القواد على النكث للإيمان وعلى الخلع فيخلعوك ، فلم يلتفت إليهم أحد ومال الى رأي الفضل بن الربيع وشرع في خدع المأمون باستدعائه الى بغداد فلم ينخدع وكتب يعتذر وترددت المراسلات والمكاتبات بينهما حتى رق المأمون وعزم الإجابة الى خلع نفسه ومبايعة موسى بن الأمين ، فخلا به وزيره الفضل بن سهل وشجعه على الامتناع وضمن له الخلافة وقال : هي في عهدتي فامتنع المأمون ونهض الفضل بن سهل بأمر المأمون واستمال له الناس وضبط الثغور واشتدت العداوة بين الأخوين وقطعت الدروب بينهما من بغداد الى خراسان[٢] ، وفتشت الطرق وصعب الأمر وقطع الأمين خطبة المأمون في بغداد وقبض على وكلائه وكذا فعل المأمون بخراسان ، وبذلك نما الشر بينهما حتى وصل الى أن أرسل الأمين الى حرب أخيه رجلاً من أصحاب أبيه وهو علي بن عيسى بن ماهان ، وكان أول بعث يبعثه الى أخيه ، وقيل : أنه حمل معه السلاح الكثير والأموال الطائلة وخرج معه مودعاً ، فالتقى بطاهر بن الحسين[٣] ظاهر الري فاقتتلوا قتالاً شديداً كانت الغلبة فيه لطاهر وقتل علي بن موسى وجيء برأسه الى طاهر فكتب بذلك الى المأمون والذي يقول فيه :

---

(١) الخضري ، الشيخ محمد ، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ، تحقيق : إبراهيم أمين محمد ، المكتبة التوفيقية ، (د.م ، د.ت) ، ص١٩٥ .

(٢) ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت،٧٠٩هـ/١٣٠٩م) ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، تحقيق : عبد القادر محمد مايو ، دار القلم العربي ، (بيروت ، ١٩٩٧م) ، ص٢١١ .

(٣) طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي الأمير مقدم الجيوش ذو اليمنين أبو طلحة الخراعي القائم بنصر خلافة المأمون فإنه ندبه لحرب أخيه الأمين فسار بجيش كبير ، وحاصر الأمين فظفر به وقتله صبراً فمقت لتسرعه في قتله ، وكان شهماً مهيباً داهية جواداً ممدحاً ، وكان مع فرط شجاعته عالماً خطيباً مفوهاً بليغاً شاعراً ، بلغ أعلى الرتب ، مات في الكهولة سنة سبع ومائتين . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص١٠٨-١٠٩ .

" أما بعد فهذا كتابي الى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ورأس علي بن عيسى بين يدي وجنده تحت أمري والسلام "[١] ، ثم بعد ذلك أرسل المأمون هرثمة وطاهر بن الحسين وهما من أعيان أمرائه بعسكر كثيف لمحاصرة بغداد ومحاربة الأمين ، فحاصر بغداد مدة وقاتلا بعساكرهما قتالاً شديداً وجرت وقائع انتهت بقتل الأمين وحمل رأسه الى أخيه المأمون بخراسان وذلك في سنة ثمان وتسعين ومائة[٢] ، ثم يصور لنا عمرو بن عبد الملك الوراق[٣] وهو يبكي بغداد ويهجو طاهراً حيث يقول :

من ذا أصابك يا بغداد بالعين ... ألم تكوني زماناً قرة العين
ألم يكن فيك أقوامٌ لهم شرف ... بالصالحات وبالمعروف يلقوني
ألم يكن فيك قوم كان مسكنهم ... وكان فربهم زيناً من الزين
صاح الزمان بهم سالبين فانقرضوا ... ماذا الذي فجمعني لوعة البينِ
استودع الله قوماً ما ذكرتهم ... إلا تحدر ماء العين من عيني
كانوا ففرقهم دهر وصدعهم ... والدهر يصدع ما بين الفريقين
كم كان لي مسعد منهم على زمني ... كم كان منهم على المعروف من عونِ
لله در زمان كان يجمعنا ... أين الزمان الذي ولى ومن أينِ
يا من يخرب بغداد ليعمرها ... أهلكت نفسك ما بين الطريقينِ
كانت قلوب جميع الناس واحدة ... عيناً وليس لكون العين كالدينِ
لما اشتهم فرقتهم فرقاً ... والناس طراً جميعاً بين قابينِ[٤]

وفي سنة ثمان وتسعين ومائة وضعت الحرب بين محمد وعبد الله ابني هارون الرشيد أوزارها واستوثق الناس بالمشرق والعراق والحجاز لعبد الله المأمون بالطاعة[٥] .

- خلق القرآن :

---

(١) ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص٢١١-٢١٢ .

(٢) ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص٢١٣ .

(٣) عمرو بن عبد الملك الوراق العنزي مولى عنزة ، شاعر من جماعة أبي نؤاس وحسين الخليع وداود بن رزين وعنان الناطقي ، وأغراض شعره تنحصر في رثاء بغداد أيام الفتنة بين الأمين والمأمون . الموسوعة الشعرية ، معجم الشعراء العرب ، ص١٧٩٨ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٥٠١ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٥٢٧ .

تعد من بين اشد المحن التي عصفت بالعالم الإسلامي وهي امتحان الناس بعقيدتهم ، لاسيما وأن الداعي لها خليفة المسلمين ، حيث عمل المأمون على إلزام الناس بالقول في خلق القرآن حتى أنه استخدم القوة في ذلك وأثخن فيمن يخالفه عن القول بخلق القرآن ، وكان المأمون قد أظهر في سنة اثنتي عشرة ومائتين القول بخلق القرآن وبتفضيل علي بن أبي طالب ﷺ وقال : هو أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وكان ذلك في شهر ربيع الأول من هذه السنة[١] .

أما عن خبر المحنة بالقرآن فقد أخبر الطبري : ففي سنة ثمان عشرة ومائتين كتب المأمون الى إسحاق بن إبراهيم في امتحان القضاة وأمر بأشخاص جماعة منهم إليه الى الرقة ، وكان ذلك أول كتاب في ذلك الموضوع[٢] ، الى أن قال له : " فاجمع بحضرتك من القضاة وأقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين وأبدأ بامتحانهم فيما يقولون وتكتيفهم عما يعتقدون في خلق الله القرآن وإحداثه وأعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين بعلمه ، ولا واثق فيما قلده الله واستحفظه من أمور رعيته عن لا يوثق بدينه وخلوص توحيده ، فإذا أقروا بذلك ووافقوا أمير المؤمنين فيه وكانوا على سبيل الهدى والنجاة ، فمرهم بنص من يحضرهم من الشهود على الناس ومسألتهم عن علمهم في القرآن وترك إثبات شهادة من لم يقر أنه مخلوق محدث ولم يره والامتناع عن توقيعها عنده ، وأكتب الى أمير المؤمنين بما يأتيك عن قضاة أهل عملك في مسألتهم والأمر لهم بمثل ذلك ، ثم اشرف عليهم وتفقد آثارهم حتى لا تنفذ أحكام الله إلا بشهادة أهل البصائر في الدين والإخلاص للتوحيد ، وأكتب الى أمير المؤمنين بما يكون في ذلك إن شاء الله "[٣] ، فمن خلال هذه الرسالة يتبين أن المأمون أراد بقوله أن من وافقه في القول بخلق القرآن سلم ونجا ومن خالفه فله منه العقوبة على ذلك ، وهذا ما كان بالفعل ، فقد أحضر إسحاق بن إبراهيم جماعة من الفقهاء والحكام والمحدثين[٤] ، وكان هذا بأمر المأمون وقام بامتحانهم وكتابة أقوالهم في خلق القرآن أهو مخلوق أو غير مخلوق وإثبات الشهود على أقوالهم وكتابة كل واحد وأقواله وإرسالها الى المأمون الذي بدوره بعث كتاباً آخر الى إسحاق بن إبراهيم

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٦١٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٦٣١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٦٣٣-٦٣٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٦٣٧ وما بعدها .

يبين له أقوالهم ورأيه فيها ، وفي الوقت نفسه يأمره بمن لم يقل بخلق القرآن أن يبعث برأسه إليه ، وهذا ما يؤيده قول المأمون الى إسحاق بن إبراهيم : " وأفعل ذلك بمن في سائر عملك من القضاة واشرف عليهم إشرافاً يزيد الله به البصيرة في بصيرته ويمنع المرتاب من إغفال دينه ، وأكتب الى أمير المؤمنين بما يكون منك في ذلك إن شاء الله "[١] ، فما كان بعد ذلك إلا أن أجاب الكثير من الفقهاء والحكماء وغيرهم بالقول بخلق القرآن ، وقد ذكر الطبري ذلك بقوله : " فأجاب القوم كلهم حين أعاد عليهم الى أن القرآن مخلوق[٢] ، إلا أربعة نفر منهم : احمد بن حنبل[٣] وسجادة[٤] والقواريري ومحمد بن نوح المضروب[٥] " ، وكان إسحاق بن إبراهيم قد أمر بهم وشدوا بالحديد وأتوا يساقون إليه ، فأعاد عليهم المحنة فأجابه سجادة الى القول بخلق القرآن وأطلق سراحه ، ثم دعا بالقواريري في اليوم التالي وأعاد عليه القول بخلق القرآن فأجابه بالقول بخلق القرآن وقد أمر بإطلاق سراحه ، إلا الإمام احمد بن حنبل ومحمد بن نوح فقد أصرا بعدم القول بخلق القرآن ولم يرجعا فشدا جميعاً بالحديد ووجها الى طرسوس ، وكتب معهما كتاباً

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٦٣٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٦٤٤ .

(٣) احمد بن حنبل : الإمام أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان الشيباني المروزي الأصل ، وكان إمام المحدثين ، صنف كتابه المسند وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره ، وقيل : كان يحفظ ألف ألف حديث ، وكان من أصحاب الإمام الشافعي ، دعي الى القول بخلق القرآن أيام المعتصم وأحضر له الفقهاء والقضاة وناظروه فلم يجب فضرب وحبس وهو مصر على الامتناع الى أن أخرجه المتوكل وخلع عليه وأكرمه ورفع المحنة في خلق القرآن ، توفي سنة إحدى وأربعين ومائتين ببغداد ، ودفن بمقبرة باب حرب . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٦٣-٦٤ .

(٤) سجادة : أبو علي الحسن بن حماد بن كسيب ، إمام قدوة محدث ، قال الحسن بن الصباح: قيل لأحمد بن حنبل : أن سجادة سئل عن رجل قال لامرأته أنتِ طالق ثلاثاً إن كلّم زنديقاً ، فكلم رجلاً يقول القرآن مخلوق ، فقال سجادة : طلقت زوجته ، وسئل احمد بن حنبل عن سجادة فقال : صاحب سنة ما بلغني عنه إلا خير ، كان من جلة العلماء وثقاتهم في زمانه ، توفي في رجب سنة إحدى وأربعين ومائتين . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١١ ، ص٣٩٢-٣٩٣ .

(٥) محمد بن نوح المضروب : هو محمد بن نوح بن ميمون بن عبد الحميد بن أبي الرجال العجلي المعروف والده بالمضروب ، كان أحد المشهورين بالسنة ، وسئل احمد بن حنبل عنه فقال : أكتب عنه فإنه ثقة ، وكان المأمون قد أمر به فحمل الى بغداد مع احمد بن حنبل بسبب المحنة في خلق القرآن ، ولكنه مرض في الطريق فمات سنة ثمان عشرة ومائتين . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٤ ، ص٥١٧ .

بأشخاصهما[١] ، ولكن المأمون توفي وهم بطريقهم إليه وذلك سنة ثمان عشر ومائتين ويذكر ابن كثير وقال أبو سعيد المخزومي :

هل رأيتم النجوم أغنت عن المأ ... مون شيئاً أو ملكه المأسوس

خلفوه بعرصتي طرسوس ... مثل ما خلفَّوا أباه بطوس[٢]

وكان المأمون قد أوصى الى أخيه المعتصم بحضرة المعتصم وابنه العباس وجماعة القضاة والأمراء والوزراء والكتاب وفيها القول بخلق القرآن وأوصاه بأن يعتقد ما كان يعتقده أخوه المأمون في القرآن وأن يدعو الناس الى ذلك[٣] .

فما كان من المعتصم إلا أن أثقل من قيوده أكثر مما كان عليه ومن شدة ذلك أنه كان لا يقوى على المشي لثقل الحديد ، وقد أُتي بأحمد بن حنبل بين يدي المعتصم فلما دنا منه سلّم عليه ، أمر المعتصم أبي دؤاد لأن أدنه فلم يزل يدنيني حتى قربت منه ، ثم قال : اجلس قد أثقلني الحديد فمكثت ساعة ، ثم قلت : يا أمير المؤمنين الى ماذا دعا ابن عمك رسول الله ﷺ ؟ قال : إلى الشهادة أن لا إله إلا الله ، قلت : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، ثم قال المعتصم لأحمد بن حنبل : لولا أنك كنت في يد من كان قبلي لم أتعرض إليك ، ثم أمر بعبد الرحمن بن إسحاق الشافعي أن يناظر الإمام احمد وسأله عبد الرحمن ما تقول في القرآن؟ فلم يجبه احمد ، فقال المعتصم : أجبه؟ ، فقلت : ما تقول في العلم؟ فسكت ، فقلت : القرآن من علم الله ومن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر بالله فسكت ، ثم قالوا للمعتصم : فقد كفرك وكفرنا ، ثم ناظروه كثيراً الى أن قالوا للمعتصم : هو ضال مضل مبتدع[٤] ، وبقوا على هذه الحال يردهم الإمام احمد عن كل سؤال إلى أثاروا حفيظة المعتصم بقول إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد : " يا أمير المؤمنين أليس من نذير الخلافة أن تخلي سبيله ويغلب خليفتين ، عند ذلك قال : خذوه واخلعوه واحبسوه "[٥] .

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٦٤٤ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص٣٠٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٣٠٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٣٦٦-٣٦٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ج١٠ ، ص٣٦٧ .

وهكذا لم يثبت ممن ابتلوا بمحنة خلق القرآن إلا احمد بن حنبل ومحمد بن نوح[١] ، الذي وافاه الأجل في طريقه الى بغداد وبقي قي خلافة المعتصم يضرب وينكل به وهو ثابت على رأيه وعقيدته في مسألة أن القرآن كلام الله أنزله على نبيه ﷺ وهو غير مخلوق على الرغم من الابتلاءات والتعذيب والقسوة التي كان يلاقيها الى أن فتح الله عليه بخلافه المتوكل وكان قد استبشر الناس خيراً[٢] ، لأنه أمر برفع محنة القرآن الكريم وأنه كلام الله المنزل .

وبهذا انقضت الفتنة وانتهى أمرها وصارت فتحاً للخلاص من هذه الفتنة التي ذهب ضحيتها الكثير من العلماء أما بإقناع كلامي فلسفي وذلك بسبب أراء الفلاسفة والمتكلمين التي أثرت على عقول الناس أو بالضرب والتخويف والقتل الذي قام به المأمون ومن سار على نهجه ، والمعتصم الذي أخذ بوصية أخيه بالسير على ما سار عليه واعتقده في القول بخلق القرآن .

على الرغم من أن الرشيد كان يقاوم من يقول بخلق القرآن الكريم فلم يجرؤ أحد عليه مدة حياته كما روي عن محمد بن نوح قال : سمعت هارون الرشيد يقول : بلغني أن بشراً المريسي زعم أن القرآن مخلوق ، عليّ إن أظفرني الله به لأقتلنه قتلة ما قتلها أحد قط[٣].

فلما مات الرشيد وتولى الأمين أراد المعتزلة حمله على ذلك فأبى ، ولما آلت الخلافة الى المأمون وكان يميل الى المعتزلة قربهم وقال بقولهم وأرغم الناس على القول بذلك كما بينا ذلك سواء كان بالضرب أو القتل أو النفي وبشتى الوسائل التي يتم له ذلك لأنه اعتقده وأخلص العمل له .

---

(١) الشيباني ، صالح بن الإمام احمد بن محمد بن حنبل البغدادي أبو الفضل (ت،٢٦٥هـ/٨٧٨م) ، سيرة الامام احمد بن حنبل ، تحقيق : فؤاد عبد المنعم احمد ، ط٢ ، دار الدعوة ، (الإسكندرية ، ١٤٠٤هـ) ، ص٤٩ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص٣٧١ .

(٣) ابن أبي يعلى ، أبو الحسين محمد بن محمد (ت٥٢٦هـ/١١٣٢م) ، طبقات الحنابلة ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار المعرفة ، (بيروت ، د.ت) ، ج١ ، ص٢١ .

المحاضرة السادسة

الحياة الفكرية

كانت الحياة الفكرية في العصر العباسي في أوج عظمتها في كافة العلوم سواء كانت في العلوم الشرعية والعلمية والفقهية والتفسير والحديث النبوي الشريف وغيرها من العلوم العقلية لاسيما في عصر المأمون سابع الخلفاء العباسيين وأحد ملوك الأرض والذي كان مقرباً للعلماء والأدباء والشعراء هذا عندما آلت إليه الخلافة ، أما بداياته فقد تربى في أحضان الخلافة المتمثلة بأبيه الخليفة هارون الرشيد الذي عني به وبأخيه الأمين وأوجد لهم المعلمين والمؤدبين مما جعلهم في مصاف أهل العلم والمعرفة ، فقد درسوا العلوم الشرعية واللغوية وأشعار وأمثال العرب وأكثروا النظر في تلك العلوم وحفظوها ، فإذا ذكر التفسير فهم من العلماء به لاسيما المأمون وإذا ذكر الحديث فهو ممن يروي الحديث وأنه أسند الحديث لنفسه[1] ، وقد بينا ذلك سابقاً وفي شتى أنواع العلم والمعرفة ، فقد تربى على يد الكثيرين من أهل العلم والمعرفة كأمثال الأصمعي واليزيدي والكسائي وغيرهم ،

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٢٧٨ .

وهؤلاء ممن اختارهم الخليفة هارون الرشيد لتأديبهم في مقتبل العمر ، و كان المأمون ممن يحفظ القرآن الكريم ، وكان والده الرشيد معجباً به أيما إعجاب ، وكان يمتلك من الدراية ما لا يمتلكه غيره من كبار العلماء ، لذلك يذكر يحيى بن أكثم قوله : إذا خضنا في كل علم وجدنا أن المأمون له نصيب به[١] ، ومما يؤيد ذلك براعة المأمون في مجالس العلم ما ذكر أن أحد خدم الرشيد عندما أرسله إليه ، وقد أجرى اختباراً لولديه الأمين والمأمون فما أن جاء الذي بعثه الى المأمون ليرى من حاله ما يرى فقال لهارون الرشيد : " يا أمير المؤمنين دخلت على عبد الله فرأيت مجلسه مغتصاً بالفقهاء والشعراء والقراء وأصحاب الحديث وهو يفاوضهم "[٢] ، أي يناقشهم في تلك العلوم ويدارسهم فيها ، وكان هارون الرشيد أميل الى المأمون من الأمين حسب ما ذكرت بعض الكتب التاريخية لما يرى فيه من النباهة في تقبله لتلك العلوم ورجاحة عقله ، وكان الرشيد قد ولاه الرقة حين أراد الرشيد السفر الى الشام لما ظهر من شهامته وما حمد آثره في ذلك[٣] .

وذكر ابن الجوزي روى الطالقاني قال : قال الرشيد لأبي معاوية الضرير وهشيم : إني اسمع من ابني المأمون كلاماً لست أدري أمن تلقين القيم عليه هو أم من قريحة فادخلا إليه فناظراه واسمعا منه وأخبراني بما تقفان عليه وهو في أثواب صباه ، فقالا له : إن أمير المؤمنين قد أمرنا بالدخول عليك ومناظرتك ، فما هي أحب العلوم إليك؟ قال : أمتعها لي ، قالا : وما أمتعها لك؟ قال : أثبتها عن ثقة وأقربها من إفهام مستعبها ، فقال له هشيم : جئناك لنعلمك فتعلمنا ، ثم أخبرا الرشيد فقالا : إن هذا شيء أوله عقيق أن يرجى آخره ، ثم اعتق عنه مائة جارية وأمة وألزمها خدمته[٤] .

وكان مما يزخر به عصر المأمون البراعة في الفقه والعربية وأيام الناس ، لذلك عندما كبر المأمون عني بكافة هذه العلوم فضلاً عن العناية بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها الى أن جره ذلك الى القول بخلق القرآن ، وكان من أتم رجال بني العباس

---

(٢) المصدر نفسه ، ج٣٣ ، ص٢٩١ .

(٣) ابن العمراني ، الأنباء في تاريخ الخلفاء ، ص٩٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٩٧ .

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠ ، ص٥٠ .

حزماً وعزماً وحلماً ورأياً ودهاءً وهيبةً وشجاعةً وسؤدداً وسماحةً ، وبرع في معرفة التاريخ وفنون الأدب ويضرب به المثل بحلمه في زمانه[١] .

ويروي الخطيب في كتابه : قال المأمون لأبي حفص عمر بن الأزرق الكرماني : أريدك للوزارة؟ ، قال : لا أصلح لها يا أمير المؤمنين ، قال : ترفع نفسك عنها؟ ، قال : ومن يرفع نفسه عن الوزارة ، ولكني قلت هذا رافعاً لها وواضعاً لنفسي عنها ، قال المأمون : إنا نعرف موضع الكفاة الثقات المتقدمين من الرجال ، ولكن دولتنا منكوسة إن قومناها بالراجحين انتقصت وإن أيدناها بالناقصين استقامت ، ولذلك اخترت استعمال الصواب فيك[٢] .

وكان من إنشاء الحركة الفكرية في زمن المأمون كما يقول الذهبي : إن المأمون استخرج كتب الفلاسفة واليونان من قُبرُس[٣] ، وذكر أيضاً : أنه كان كما قيل أماراً بالعدل محمود السيرة ميمون النقيبة فقيه النفس يعد من كبار العلماء[٤] ، وكان المأمون ممن أرسل الكثير من الهدايا الى ملوك الروم ليجلب ما لديهم من كتب الفلاسفة وقد بعثوا إليه العدد الكبير من الكتب مثل : كتب أفلاطون وسقراط وبطليموس ، وقام المأمون بتكوين جماعة من المترجمين لترجمة هذه الكتب الى اللغة العربية ليستفيد منها الناس ، وأطلق الحرية في الكلام لمن يقوم بالبحث عن هذه الفلسفية الأمر الذي أدى الى القول بخلق القرآن الكريم ، وقد أفتن الكثير من العلماء وأوذوا وقتلوا فلم يسلم منهم إلا من أجاب بالقول بما اعتقده المأمون ومن قال برأيه ، وممن ثبت بعدم القول بخلق القرآن الإمام احمد بن حنبل الذي لاقى الأذى الكبير في سبيل عدم القول بما قاله المأمون والمتكلمين الذين حذو خذوه بهذا القول ، وكان المأمون قرب أصحاب العلوم المختلفة ويتبين ذلك من خلال ما أورده ابن الفقيه في كتابه عن المأمون قوله : قد قرأت القرآن

---

(٢) العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ج٣ ، ص٤٣٨ .

(٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٠ ، ص١٨٤ .

(٤) قُبرُس : بضم أوله وسكون ثانيه ثم ضم الراء وسين مهمله كلمة رومية وافقت من العربية القبرس النحاس الجيد ، وهي جزيرة في بحر الروم وبأيديهم دورها مسيرة ستة عشر يوماً ، وذكر بطليموس في كتاب ملحمة الأرض قال : مدينة قبرس ستون درجة وخمس عشرة دقيقة وعرضها خمس وثلاثون درجة وثلاث عشرة دقيقة في الإقليم الرابع . الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٠٥ .

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص٢٧٨-٢٧٩ .

فحفظته وسمعت الحديث وعلمت الأدب وناظرت المتكلمين فلم يبقَ شيء من العلم إلا وقد كشفت ظاهره وفتشت باطنه إلا فيما يتنازع فيه أهل الكوفة والبصرة[١] .

ولم يكن المأمون وحده من الخلفاء من عني بالعلوم المختلفة فحسب ، بل سبقه الكثير من الخلفاء في العصر العباسي لاسيما خلافة هارون الرشيد والذي بلغت بغداد في عهده في الذروة من بين المدن الأخرى والتي احتضنت الكثير من العلماء في مختلف العلوم من مفسرين ومحدثين وفقهاء ، فقد أسس الرشيد بيت الحكمة وقام بتزويده بالكتب المختلفة ، فضلاً عن إنشاء المدارس والمكتبات والتي ضم فيها الكثير من العلماء فمن المفسرين في بيت الحكمة هشيم بن نشير بن بشر السلمي الواسطي[٢] وكان محدثاً وفقيهاً وله كتب في القراءات والمغازي والسنن في الفقه[٣] ، مما جعل من بغداد أن تكون مقصد رجال العلم ومكتبة لمؤلفاتهم[٤] .

وعندما قتل الأمين وآلت الخلافة الى المأمون طوّر بين الحكمة الذي أسسه الرشيد من خلال اهتمامه بحركة الترجمة وإرسال المترجمين الى بلاد الروم لنقل ما فيها من العلوم الى العربية ، وقد أحضروا طرائف الكتب في مختلف الفنون مما جعل بغداد تزخر بالعدد الكبير من العلماء ، وقسم بيت الحكمة الى أقسام عديدة تضم قسم الترجمة والتأليف والدرس والنسخ[٥] ، حتى صارت بغداد مشتهرة في كافة ميادين العلم والمعرفة .

ومما يلفت النظر أن المأمون بلغت به العناية بالحياة العلمية والفكرية ما يذكره لنا صاحب عيون الأخبار : أن المأمون كان يعطي لحنين بن إسحاق[٦] من الذهب زنة ما

---

(٢) ابن الفقيه ، أبو عبد الله احمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني (ت،٣٦٥هـ/٩٧٥م) ، البلدان ، تحقيق : يوسف الهادي ، عالم الكتب ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٩٦م) ، ص٢٤١ .

(٣) تم ترجمنا له في شيوخ المأمون .

(٤) ابن سعد ، مقدمة الطبقات الكبرى ، ص٢٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٢٨ .

(١) ابن سعد ، مقدمة الطبقات الكبرى ، ص٢٧ .

(٢) حنين بن إسحاق : أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي بفتح السين وتخفيف الياء ، والعباد بالفتح قبائل شتى من العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة والنسبة إليهم عبادي ، وكان حنين بن إسحاق فصيحاً لسناً بارعاً شاعراً ، أقام مدة في البصرة وكان شيخه في العربية الخليل بن احمد ، ثم انتقل الى بغداد واشتغل بالطب وقد حصل من العناية والاجتهاد مبلغه في تعليم صناعة الطب ، مما جعل

ينقله من الكتب الى العربية مثلاً بمثل ، وكان أمره بالنقل ما يقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين وكان قد امتثل لأمره[١] ، وكان ينقل ما باستطاعته من هذه الكتب .

لذلك كان بيت الحكمة في عهد المأمون على درجة عالية من التطور والرقي إذ نقل إليه شتى صنوف العلوم والمعرفة ، أضف إلى ذلك أنه أفرد لكل عالم فيه ركناً فتزدحم جنبات هذا البيت بالعلماء والفلاسفة والمترجمين وأئمة اللغة ورجال الأدب ، ففي عهد المأمون بدأ أبو يوسف يعقوب الكندي[٢] فيلسوف العرب ، نشاطه الفكري الذي لم يقف عند التعريف بالفلسفة الأرسطوطالسية والأفلاطونية عن طريق الترجمة والاقتباس[٣] ، ولم يقف الى ذلك فحسب بل تعدى ذلك الى دراسة التاريخ الطبيعي وعلم الظواهر الطبيعية[٤] .

وبهذا الشكل كانت الحركة العلمية زمن المأمون تحضى بعناية كبيرة من حيث استخراج الكتب العلمية ومما يؤيد ذلك : أن المأمون رأى في منامه كأن شيخاً بهي الشكل جالس على منبر وهو يخطب ويقول : أنا أرسطو طاليس[٥] انتبه من منامه وسأل عن أرسطو طاليس ، فقيل له : رجل حكيم من اليونانيين[٦] .

المأمون يمتحنه في عمل الأدوية السامة القاتلة ، فقال له : لا أعرف إلا الأدوية النافعة ، وقد الامتحان أكرمه المأمون . ابن أبي اصيبعة ، موفق الدين احمد بن القاسم بن خليقة أبو العباس الخزرجي (ت،٦٦٨هـ/١٢٦٩م) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق : نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، بلات) ، ٢٥٧-٢٦١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٢٦٠ .

(٤) يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي الاشعثي الفيلسوف صاحب الكتب من ولد الأشعث بن قيس أمير العرب ، كان رأساً في حكمة الأوائل ومنطق اليونان والهيئة والتنجيم والطب وله باع في الهندسة والموسيقى ، يقال له : فيلسوف العرب ، وكان متهماً في دينه بخيلاً ، وله نظم جيد وبلاغة ، هم بأن يعمل شيئاً مثل القرآن فبعد أيام أذعن بالعجز . الذهبي ، سير أغلام النبلاء ، ج١٢ ، ص٣٣٧ .

(١) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٣٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٣٤ .

(٣) أرسطو طاليس : هو أرسطو طاليس بن نيقوماخس الجراسني ، وتفسير نيقوماخس : قاهر الخصم ، وتفسير أرسطو طاليس : تام الفضيلة ، كان فيلسوف الروم وعالمها وجهبذها ونحريرها وخطيبها وطبيبها ، وكان أوحد في الطب ، وغلب عليه علم الفلسفة . ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص٨٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٢٥٩ .

وأورد صاحب عيون الأنباء : أن المأمون عندما رأى هذه الرؤيا فيما رآه وتعاظم هيبته سألت عنه فقيل : هو أرسطو طاليس ، فقلت : أسأله عن شيء فسألته ، فقلت : ما الحسن؟ ، فقال : ما استحسنته العقول ، فقال : ثم ماذا؟ ، فقال : ما استحسنته الشريعة ، قلت : ثم ماذا ، قال : ما استحسنه الجمهور ، قال : ثم ماذا؟ ، قال : ثمَّ لا ثمَّ ، فكان هذا المنام من السباب التي أدت الى إخراج الكتب ، ولذلك جرت المراسلات بين المأمون وملك الروم ، وقد كتب الى ملك الروم يسأله الأذن في إنفاذ العلوم القديمة المخزونة ببلد الروم ، فأجاب الى ذلك بعد أن أمتنع عن ذلك[١] .

وبذلك وكل المأمون من يجلب تلك الكتب الى البلاد الإسلامية ، وتحقق ما رآه في رؤياه وأصبح فيما بعد حقيقة علمية أغنت المكتبات التي أصبحت عامرة بكافة العلوم ، وكما هو معلوم أن المأمون كان يأنس بمجالسة العلماء والمتكلمين ويلتذ بمدارسة تلك العلوم مع أولئك الصفوة الذين حازوا العلم في شتى أنواعه ومعارفه ، فما كان منه إلا أن جلب تلك الكتب ودرسها وأمر بدراستها وتعلمها[٢] ، وقد وكل بتلك الكتب من يترجمها وينقلها الى العربية .

ويضيف أحد الباحثين قوله : وهذا الحلم الذي قيل أنه دفع بالمأمون الى الأستهامة بأرسطو ومؤلفاته وميله الى الفلسفة والمنطق لاتساع دائرة معارفه العامة ورغبته في القياس العقلي وتأثره بمذهب الاعتزال مما أدى الى القول بخلق القرآن ، وكان من نتائج إقبال العرب وغيرهم على تلك المؤلفات وأمثالها أن تولد عندهم علم الكلام والفلسفة الأفلاطونية الجديدة[٣] .

وفي عصر المأمون قامت دولة الحكمة وكذلك سائر الفنون فأتقن جماعة من ذوي الفهم في أيامه كثيراً من الفلسفة ومهدوا أصول الأدب وبينوا منهاجه الصلب ، ويذكر حاجي خليفة : أن أعظم الأسباب في رواج العلم وكساده هو رغبة الملوك في كل عصر وعدم رغبتهم[٤] .

---

(٥) المصدر نفسه ، ص٢٥٩-٢٦٠ .

(١) ابن العبري ، غريغو ريوس أبي الفرج بن هارون (ت،٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، تاريخ مختصر الدول ، تحقيق : أنطوان صالحاني اليسوعي ، دار شرق ، (بيروت ، ١٩٩٢م) ، ص١٣٦ .

(٢) رفاعي ، عصر المأمون ، ج١ ، ص٣٧٨-٣٧٩ .

(٣) خليفة ، حاجي ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار العلوم الحديثة ، (بيروت ، د.ت) ، ج١ ، ص٣٤ .

وكان ممن برع في زمن المأمون لاسيما في علم هيئة الأفلاك احمد بن كثير الفرغاني صاحب المدخل الى علم هيئة الأفلاك يحتوي على جوامع كتاب بطليموس بأعذب لفظ وأبين عبارة وكذلك عبد الله بن سهل بن نوبخت وكان كبير القدر في علوم النجوم[١] ، وآخر هو يحيى بن أبي المنصور رجل فاضل كبير القدر آنذاك مكين المكان ، ولما عزم المأمون على رصد الكواكب تقدم إليه والى جماعة من العلماء بالرصد وإصلاح آلاته ففعلوا ذلك بالشماسية[٢] ببغداد وجبل قاسيون بدمشق[٣] .

ومن الحكماء يوحنا بن البطريق الترجمان مولى المأمون كان أميناً على ترجمة الكتب الحكيمة حسن التأدية للمعاني ألكن اللسان في العربية وكانت الفلسفة أغلب عليه من الطب ، ومن الأطباء سهل بن سابور ويعرف بالكوسج كان بالأحواز وفي لسانه لكنه خوزية وتقدم بالطب في أيام المأمون[٤] .

وكان المأمون ممن يهتم بالأطباء وكان يعطي لطبيبه جبريل الحكال في كل شهر ألف درهم ، وكان أول من يدخل إليه في كل يوم ، ثم سقطت منزلته بعد ذلك فسئل عن السبب فقال : إني خرجت يوماً من عند المأمون فسألني بعض مواليه عن خبره فأخبرته أنه قد ، فبلغه ذلك فأحضرني ثم قال : يا جبريل اتخذتك كحالاً أو عاملاً للأخبار عليَّ أخرج من داري فأذكرته حرمتي فقال : أن له لحرمة فليقتصر به على إجراء مائة وخمسين درهماً في الشهر ولا يؤذن له في الدخول[٥] .

ومما تقدم يتبين لنا أن الخلفاء لم يهتموا بالعلوم الإسلامية فقط بل قاموا بالاهتمام بالعلوم غير الإسلامية بحكم التطور ، وكان أول من عني بذلك كما أسلفنا الرشيد ثم الخلفاء من بعده .

---

(٤) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ١٣٦ .

(٥) الشماسية : بفتح أوله وتشديد ثانيه ثم سين مهملة صحراء في أعلى بغداد ينسب إليها باب من أبوابها وبإزائها دار معز الدولة بن بويه واثر الدار باقٍ ، والصحراء التي كانت فوقها دجلة طرفاً وهي أعلى من الرصافة ، ومحلة الخضيرية المجاورة لمشهد الإمام أبي حنيفة ومحلة دار الروم . ابن عبد الحق ، عبد المؤمن بن عبد الحق بن شمائل القطيعي البغدادي صفي الدين (ت،٧٣٩هـ/١٣٣٨م) ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، دار الجيل ، ط١ ، (بيروت ، ١٤١٢هـ) ، ج٢ ، ص٨١٠ .

(٦) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ١٣٧ .

(١) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ١٣٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٣٨ .

أهتم العباسيون أيما اهتمام بالعلوم والترجمة فقد جمعوا أعظم العلماء النابهين في ترجمة الكتب وكان جلهم من السريان المسيحيين ، وجدّ الخلفاء العباسيون في البحث عن المخطوطات الإغريقية في شتى العلوم في كل مكان استطاعوا الوصول إليه ، ومن أجل هذا أوفدوا الوفود والبعثات العلمية الى الدولة البيزنطية للحصول على الكتب وإحضارها إلى بيت الحكمة وترجمتها ، ولم يكتفوا بما حصلوا عليه من المراكز العلمية التي أصبحت تحت أيديهم[١] ، بل دأب الخلفاء على إيفاد البعثات لطلب الكتب من الأباطرة البيزنطيين والحصول عليها ، وقد بلغت أوجها في عهد الخليفة المأمون الذي كان معروفاً بحبه للعلم والثقافة عامة والثقافة اليونانية خاصة[٢] .

وحاول المأمون في استقدام أشهر عالم فلك ورياضيات بيزنطي في عهده وهو العالم المعروف بليون الفلكي الرومي ، وقد نجح في مسعاه في المفاوضة مع الإمبراطور تيوفليوس بهذا الشأن واستطاع من جلبه إلى بغداد[٣] .

ومما يؤكد لنا شغف المأمون بهذه العلوم على وجه الخصوص والعلوم الأخرى بشكل عام حتى إننا تكلمنا عنه عندما كان تلميذاً وولي للعهد حتى وأصبح خليفة ، فضلاً عن براعته في الأدب والبحث وسياسياً عندما أدار الخلافة بكل ما تعنيه السياسة ومقوماتها في إدارة أمور الدولة الإسلامية في شتى بقاع الأرض ، وذلك ما حدا به الى أن جلب كل ما يستدعي جلبه من الكتب وترجمتها ، ومما يصدق ذلك أن المأمون بعث الى حاكم صقلية المسيحي يطلب منه أن يبادر بإرسال مكتبة صقلية الشهيرة الغنية بكتب الفلسفة ، وكان الحاكم قد تردد في إرسالها وجمع رجالات دولته واستشاره حول هذا الطلب ، فأشار عليه المطران الأكبر بقوله : " أرسلها إليه فوالله ما دخلت هذه العلوم في أمة إلا أفسدتها " ، فأذعن الحاكم لمشورته وعمل بها[٤] .

ويذكر أحد الباحثين قوله : فالمأمون يعد في الحقيقة حامل لواء هذه العلوم وسبب تلك الحركة الكبرى التي وجدت في الأمة الإسلامية مع حفظ الفضل لمن سبقه في ذلك

---

(٣) عبد اللطيف ، عبد الشافي محمد ، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ، ط١ ، دار السلام ، (القاهرة ، ١٤٢٨هـ) ، ص٣٠٩ .

(٤) المرجع نفسه ، ص٣٠٩ .

(١) عبد اللطيف ، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ، ص٣١١ .

(٢) رفاعي ، عصر المأمون ، ج١ ، ص٣٧٥-٣٧٦ .

كأبيه الرشيد وجده المنصور ، فإنهما وضعا الأساس وهو حذا حذوهم إلا أنه فاقهم في الاهتمام والعزم[1] .

المحاضرة السابعة

(٣) الخضري ، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ، ص٢٦٣ .

الموارد الشفهية والمدونة

إن المقصود بالموارد التي ندرسها ونريد بيانها وترجمتها هم الشيوخ الذين أخذ منهم التلاميذ علومهم وأجازاتهم باعتبارهم المنبع الأصلي لهذه العلوم المعرفية سواء كانت في التفسير أو الحديث أو الفقه أو التاريخ ، فضلاً عن العلوم الصرفة بجانب الإنسانية منها ، ومن هنا لابد لنا أن نبين تلك الموارد من حيث بيان المدونة منها والموارد الشفهية وترجمة الموارد بحسب سني وفياتهم ، وقبل ذلك لابد أن بين معنى الموارد من حيث دلالاتها اللغوية :

المورد : فقد قال الرازي : " المنهل ، وهو عين ماء ترده الإبل في المراعي ، والنهل الشرب الأول "[1] .

فبات لزاماً علينا أن نترجم لكل مورد (شيخ) من حيث اسمه كاملاً وأهم شيوخه ورواته وذكر وفاته ، على الرغم من أننا لم نجد للبعض منهم سني وفيات ، كما أن الترجمة تتفاوت بين مورد وآخر تبعاً لتوفر المعلومات عن المترجم له من كتب التراجم من حيث طول الترجمة وقصرها ، وقد يرجع السبب في ذلك الى أهمية ومكانة صاحب الترجمة أو الى وفرة المادة التي اعتمدت في صاحب الترجمة .

أولاً . الموارد المدونة :

١ . أبو علي محمد بن سعيد (ت٥١١هـ/١١١٧م) :

هو أبو علي محمد بن سعيد بن إبراهيم بن سعيد بن نبهان البغدادي الكرخي الكاتب ، شيخ كبير معمر ومسند وقته ، كانت ولادته في سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، وبدأ سماعه بعد العشرين وأول ما سمع من أبي علي بن شاذان[2] ، وبشرى القاشني ، وجده لأمه أبي الحسن الصابىء ، عمر دهراً طويلاً ولكن سماعه لم يكن كثيراً ، وممن حدث عنه حفيده محمد بن احمد وأبو طاهر السلفي وغيرهم خلقٌ كثير ، قال فيه السمعاني : شيخ عالم فاضل مسن من ذوي الهيئات ، وكانت لابن السمعاني منه إجازة ، وكان كما قيل لابن السمعاني : أن ابن نبهان إذا طوّل عليه المحدثون قال لهم : قوموا فإن عندنا مريضاً ، وقد بقي على هذه الحال سنين ، فكان يقال : مريض بن نبهان لا يبرأ أبداً ، بلغ من العمر ستاً وتسعين سنة ، توفي سنة إحدى عشر وخمسمائة[3] ، وقد وردت

---

(١) الرازي ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت٦٦٦هـ/١٢٧٠م) ، مختار الصحاح ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، (بيروت ، ١٩٩٩م) ، ص٣٢٠.

(٢) علي بن شاذان : الحسن بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران أبو علي البزاز المعروف بابن شاذان ، حدث بكتاب السنن لسعيد بن منصور ، وحدث عنه أبو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب وغيره ، قال عنه الخطيب : كان صدوقاً صحيح الكتاب ، كتب عنه جماعة من شيوخنا ووثقه الكثير ، توفى سنة ست وعشرين وأربعمائة . ابن نقطة ، التقييد لمعرفة رواة السنن والأسانيد ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٤٠٨هـ) ، ص٢٢٨-٢٢٩ .

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص٢٥٥-٢٥٦ .

روايته في تاريخ ابن عساكر بلفظ أخبرنا ابو علي محمد بن سعيد بن إبراهيم في كتابه ، وتدل الرواية على خلافة عبد الله بن هارون المأمون وذلك سنة ثمان وتسعين ومائة في المحرم من هذه السنة وكانت كنيته أو العباس[١] .

٢ . أبو علي الحداد (ت٥١٥هـ/١١٢١م) :

الشيخ العالم الثقة الصدوق أبو علي الحسن بن احمد بن الحسن بن احمد بن محمد بن مهرة الحداد الاصبهاني المقرئ من أهل اصبهان ، كان من أصحاب القراءات بروايات ، وعمر العمر الطويل حتى حدث بالكثير ، وسبب تسميته بالحداد لأن والده كان إذا خرج إلى حانوته للعمل في الحديد يأخذ بيده ويدفعه في مسجد أبي نعيم ليسمع ما يقرأ عليه ، وكان لا يفوته شيء منه رأى من العز ما لم يره أحد خيراً ديناً صالحاً ، سمع من أبي نعيم احمد بن عبد الله الحافظ وغيره ، رحل إليه الناس من الأمصار وقصده طلبة الحديث ، وحدث عنه الكثير من أهل خراسان وبلاد ما وراء النهر ، سمع الكثير من المصنفات مثل : كتاب الصحيح المخرج على صحيح البخاري ، وكتاب الصحيح المخرج على صحيح مسلم ، وكتاب التوبة والتنصل والاعتذار ، وكتاب الطب وغيرها من الكتب[٢] ، توفي في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة خمس عشرة وخمسمائة[٣] ، وجاء مورده في تاريخ ابن عساكر مدوناً وبلفظ : أنبأنا أبو علي الحداد في كتابه ، وتشير الرواية التي جاءت أن صاحب حديث جاء الى المأمون وقال : صاحب حديث منقطع مما جعل المأمون يختبره في ذلك وهو يقول : يكتب أحدهم الحديث ثلاثة أيام ثم يقول : أنا صاحب حديث ، ثم أمر له بثلاثة دراهم[٤] ، لأنه لم يرضى بذلك الإدعاء .

٣ . أبو العز احمد بن عبيد الله بن كادش (ت٥٢٦هـ/١١٣١م) :

هو احمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن احمد بن حمدان بن عمران بن إبراهيم بن عيسى[٥] ابن صاحب رسول الله ﷺ عتبة بن فرقد السلمي[١] ،

---

(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٢٨١

(٣) السمعاني ، التحبير في المعجم الكبير ، ج١ ، ص١٧١-١٧٢ .

(٤) ابن عساكر ، معجم الشيوخ ، ج١ ، ص٢٣٥ ؛ ابن نقطة ، التقييد ، ص٢٣٦ .

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٢٩٠ .

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص٥٥٨ .

ويعرف احمد بن عبيد الله بابن كادش ، شيخ كبير طلب الحديث وقرأ على المشايخ ونسخ بيده وجمع وخرّج ، كانت ولادته في صفر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، وقد سمع من أبا الطيب الطبري وأقضى القضاة أبا الحسن الماوردي[٢] وغيرهم ، سمع من الكثير من العلماء منهم أبو القاسم بن عساكر وأبو العلاء الهمذاني وغيرهم كثير ، كان للأئمة فيه وقال منهم : ابن النجار الذي يقول عنه : كان ضعيفاً في الرواية مخلطاً كذاباً ، وقال السمعاني : كان ابن ناصر يسيء القول فيه ولكن السمعاني يقول : فذكرت ذلك لأبي القاسم الدمشقي فأنكره غاية الإنكار وقال : كان صحيح السماع ورأيت سماعه لكتاب الجليس في الأصل مثبتاً ، وقيل : أنه وضع حديثاً عن رسول الله ﷺ وأقر بذلك ، توفي سنة ست وعشرين وخمسمائة[٣] ، جاءت الرواية التي يذكر ابن كادش مدونة وبلفظ أخبرنا فيما قرأ عليَّ إسناده وناولني إياه وأذن لي في روايته[٤] ، وكانت الرواية : أن الرشيد أراد سفراً فأمر الناس أن يتأهبوا لذلك وأعلمهم أنه خارج بعد الأسبوع ولم يخرج فاجمعوا الى المأمون وأرادوا أن يستعلم ذلك ولم يكن الرشيد يعلم أن المأمون يقول الشعر فكتب إليه المأمون :

يا خير من دبت المطيء به ... ومن تقدى بسرجه فرس
هل غاية في المسير نعرفها ... أم أمرنا في المسير فلتبس

---

(٣) عتبة بن فرقد السلمي : أبو عبد الله عتبة بن فرقد السلمي له صحبة ورواية ، كان أميراً لعمر بن الخطاب ﷺ على بعض فتوحات العراق ، كان صاحب رائحة طيبة لأن يقول أصابني الشرى فأقعدني رسول الله ﷺ بين يديه فتجردت من ثيابي والقيتها على عورتي فنفت رسول الله ﷺ في كفه ثم دلك بها الأخرى ثم أمرهما على ظهري وبطني فعبق بي ماترون ، وروى شعبة عن معين عن امرأة عينة بن فرقد : أنه غزا مع رسول الله ﷺ غزوتين . ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٩٢م) ، ج٣ ، ص١٠٢٩ .

(٤) أبو الحسن الماوردي : علي بن محمد بن حبيب الإمام الجليل أبو الحسن الماوردي صاحب الحاوي والإقناع في الفقه وأدب الدين والدنيا والتفسير ودلائل أحكام النبوة والأحكام السلطانية وقانون الوزارة وسياسة الملك ، روى عن الحسن بن علي الجبلي ، وروى عنه ابو بكر الخطيب وجماعة آخرهم أبو العز بن كادش ، وكان الماوردي إماماً جليلاً حافظاً للمذهب ، كما قيل فيه الشيخ أبو إسحاق ، وكان من وجوه الشافعية ، توفي سنة أربعمائة وخمسين من شهر ربيع الأول من هذه السنة . السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج٥ ، ص٢٦٧-١٦٩ .

(٥) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص٥٥٨-٢٦٠ .

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٢٨٤ .

ما علم هذا إلا الى ملك ... من نوره في الظلام نقتبس
إن سرت سار الرشاد متبعاً ... وإن تقف فالرشاد محتبس[١]

٤ . أبو محمد عبد الكريم بن حمزة (ت٥٢٦هـ/١١٣١م) :

عبد الكريم بن حمزة بن الخضر بن العباس أبو محمد الدمشقي[٢] ، الشيخ الثقة المسند وكيل المقرئين ، سمع من أبي القاسم الحنائي ، وأبي بكر الخطيب وغيرهم ، وكان ممن أجاز له من بغداد أبو جعفر بن المسلمة[٣] ، ومن واسط أبو الحسن بن مخلد[٤] ، حدث عنه الحافظ أبو القاسم بن الحرستاني وابن عساكر وغيرهم ، قال فيه الحافظ ابن عساكر : كان شيخاً ثقة مستوراً سهلاً قرأت عليه الكثير[٥] ، له حديث فيما أورده ابن عساكر وأجده به عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : " الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزءٌ من ستة وأربعين جزءاً من النبوة "[٦] ، ذكر الحافظ ابن عساكر لأبي محمد عبد الكريم رواية مدونة مفادها : قرأت على أبي محمد عبد الكريم بن حمزة ، وكانت الرواية : أن رجلاً من أصحاب الصنعة أراد أن يذكر عن أمير المؤمنين عبد الله بن هارون المأمون وإن هذا الرجل يحل الطلق[٧] بين يدي أمير المؤمنين في يوم وبعض

---

(٢) المصدر نفسه ، ج٣٣ ، ص٢٨٤-٢٨٥ .

(٣) ابن نقطة ، التقييد ، ص٣٦٦ .

(٤) ابو جعفر بن المسلمة : محمد بن احمد بن محمد بن عمر أبو جعفر المعدل ، سمع من أبي الفضل الزهري وأبي طاهر المخلص وغيرهم ، قال الخطيب : كتبت عنه وكان ثقة ، وكانت ولادته سنة خمس وسبعين وثلاثمائة فيما أخبر به الخطيب ، أورد له الخطيب بما أخبره به أبو جعفر بن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : " أكثر منافقي أمتي قراؤها " . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٢٩ ، ص٢٢١ .

(٥) أبو الحسن بن مخلد : محمد بن محمد بن مخلد الزدي الواسطي البزاز شيخ أمين ثقة جيد الخط جيد الأصول قاله السلفي عندما سأل خميساً الحافظ عن ابن مخلد ، توفي سنة ثمان وستين وأربعمائة . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٨ ، ص٤١١ .

(٦) المصدر نفسه ، ج١٩ ، ص٦٠٠ .

(١) البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي (ت،٢٥٦هـ/٨٦٩م) ، صحيح البخاري (الجامع الصحيح) ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، ط٣ ، دار ابن كثير ، (بيروت ، ١٩٨٧م) ، ج٩ ، ص٣٠ ؛ ابن عساكر ، معجم ابن عساكر ، ج٢ ، ص٦٠٩.

(٢) الطلق : صفائح رقاق لها بصيص وهو أنواع منه بحري ويمان وجبلي وهو يتصفح منه إذا دق . الخوارزمي ، محمد بن احمد بن يوسف (ت،٣٨٧هـ/٩٩٧م) ، مفاتيح العلوم ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، ط٢ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، د.ت) ، ص٢٨١ .

وبعض آخر فقيل للرجل : ارتح نفسك والعناء واجلس في بيتك ولا تعرف أمير المؤمنين منك[١] ، قال : فالحل عليه حرام وماله من قليل أو كثير صدقة لوجه الله تعالى وكل مملوك له حر إن كان كذبك فيما قال لك والله ما أخذ منكم شيئاً عاجلاً وقد ادعيت أمراً وامتحنوني فيه فإن جاءك ما ادعيت كان الأمر إليكم وإن وقع بخلاف ذلك انصرفت الى منزلي فأخبر المأمون بما قال فتمثل ببيت الفرزدق[٢] :

وقبلك ما ادعيت كاسر عينه ... زياداً فلم تقدر عليَّ حبائله

ثم قال المأمون : لعل هذا يريد أن يصل إلينا فاحتال بهذه الحيلة وليس الرأي أن يظهر أحد علينا علماً فنظهر الزهد فيه ، فأحضره فجيء بالرجل وأحضرت له أداة العمل فإذا هو يحل الطلق كما يقول أبو عبد الرحمن العتبي[٣] أجهل مني بما في السماء السابعة ، فنظر إليَّ المأمون وقال : تزعم أنه حلف بالطلاق والعتاق وصدقة ما يملك ، قال : بلى ، قال : فقد حنث ، فقال الرجل والمأمون يسمع : ألم تحلف بالطلاق والعتاق وصدقة ما تملك ، قال : بلى ، قلت : فقد حنثت ، قال : ليست لي امرأة ، قلت : فالعتاق ، قال : ومالي مملوك ، فقلت : فصدقة ما تملك ، قال : ما أملك خيطاً ولا مخيطاً ، قال له : كذب يا أمير المؤمنين له غلام ودابة ، قال : هما وحق رأس أمير المؤمنين عارية ، قال : فتبسم المأمون وقال : بحل الدراهم أعلم منه بحل الطلق ، ثم أمر أن يعطى خمسة آلاف درهم ، فلما خرج قال للعتبي : رده فرده ، فقال : زيدوه فإنه لا يجد في كل وقت من يمخرق عليه[٤] .

---

(٣) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٣٢٠-٣٢١ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٣٣ ، ص٣٢١ .

(٥) أبو عبد الرحمن العتبي : محمد بن عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو عبد الرحمن العتبي من أهل البصرة ، صاحب أخبار ورواية للآداب ، وكان من أفصح الناس ، حدث عن أبيه وعن سفيان بن عيينة ، روى عنه حاتم السجستاني وغيره ، قدم بغداد وحدث بها وأخذ عنه أكثر من واحد له شعر يقول فيه :

لا خير من عدة إن كنت ماطلها ... وللوفاء على الأخلاق تفضيل

الخير أنفعه للناس أعجلـه ... وليس ينفع خيرٌ فيه تطويل

مات العتبي سنة ثمان وعشرين ومائتين . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٣ ، ص٥٦١-٥٦٢ .

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٣٢٠-٣٢١ .

٥ . أبو القاسم زاهر بن طاهر (ت٥٣٣هـ/١١٣٨م) :

زاهر بن طاهر بن محمد بن محمد بن احمد بن محمد يوسف بن محمد بن مرزبان الشحامي[١] ، الشيخ العالم المحدث المفيد مسند خراسان ، كانت ولادته في سنة ست وأربعين وأربعمائة ، اعتنى به أبوه وسمعه في السنة الخامسة وما بعدها واستجاز له[٢] ، وكان ممن أجاز له أبو محمد الجوهري[٣] مسند بغداد ، وسمع سعيد ين محمد البحيري[٤] وغيره عدد كثير ، وروى الكثير واستملى على جماعة وخرج وجمع وانتقى لنفسه السباعيات ، يقول الذهبي : وهو واهٍ من قبل دينه ، وكان ذا حبٍ للرواية ، وروى الكثير في بغداد وغيرها من المدن ، قال السمعاني : كان مكثراً متيقظاً ، ورد علينا مرو للرواية ، وخرج معي الى اصبهان لا شغل له إلا الرواية بها وازدحم عليه الخلق ، وكان يعرف الأجزاء وجمع ونسخ وعمّر ، وكان يكرم الغرباء ويعيرهم الأجزاء ، ولكنه كان يخل بالصلوات إخلالاً ظاهراً وقت خروجه معي الى اصبهان ، وقد بين ذلك ابن عساكر في تركه الصلاة قال : أتيته قبل طلوع الشمس فنبهوه فنزل لنقرأ عليه وما صلى ، وقيل له في ذلك ، فقال : لي عذر وأنا اجمع الصلوات كلها ، ولعله تاب والله يغفر له ، كان خبيراً بالشروط وعليه العمدة في مجلس الحكم ، توفي في نيسابور سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة[٥] ، وجاء مورد ابن عساكر مدوناً ويلفظ : قرأت على أبي القاسم زاهر بن طاهر ، عن أبي بكر البيهقي وكان الحديث أن المأمون صعد المنبر في يوم الأضحى

---

(٢) ابن نقطة ، التقييد ، ص٢٧٢ .

(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص١٠ .

(٤) أبو محمد الجوهري : الحسن بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله أبو محمد الجوهري ، سمع من أبي بكر بن مالك القطيعي وغيره كثير ، يقول الخطيب : كتبنا عنه وكان ثقة أميناً كثير السماع وهو شيرازي الأصل ومسكنه بدرب الزعفراني ، ولادته سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، توفي سنة أربع وخمسين وأربعمائة ودفن بالجانب الشرقي في مقبرة باب أبرز . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٨ ، ص٣٩٧ .

(٥) أبو عثمان سعيد ين محمد البحيري : سعيد بن محمد بن أبي الحسين احمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن بحير البحيري النيسابوري ، شيخ جليل ثقة ، سمع من جده أبي الحسين وزاهر بن احمد السرخسي وغيرهم ، حدث عنه هبة الله بن سهل وزارهر بن طاهر ومحمد بن الفضل الفراوي ، وكان أبو عثمان ممن غزا الهند والروم مع السلطان محمود ، توفي سن إحدى وخمسين وأربعمائة . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٨ ، ص١٠٤ .

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص٩-١٢ .

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ، حدثنا هشيم بن بشر ، أنبأنا ابن شبرمة[١] ، عن الشعبي ، عن البراء بن عازب ، عن أبي بردة بن دينار[٢] قال : قال رسول الله ﷺ : " من ذبح قبل أن يصلي فإنما هو لحم قدمه لأهله ومن ذبح بعد أن يصلي فقد أصاب السنة الله أكبر كبيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا اللهم أصلحني واستصلحني وأصلح على يدي "[٣] .

٦ . أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل (ت٥٣٥هـ/١١٤٠م) :

إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن احمد بن طاهر الحافظ الاصبهاني أبو القاسم[٤] ، العلامة الحافظ شيخ الإسلام الملقب بقوام السنة ، وهو مصنف كتاب الترغيب والترهيب ، ولادته سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، وسمع من أبي عمرو عبد الوهاب بن أبي عبد الله بن مندة وخلقاً كثير[٥] ، وكان إماماً في العربية ، حدث عنه أبو أبو سعد السمعاني وابن عساكر وغيرهم ، قال فيه أبو موسى المديني : أبو القاسم إسماعيل الحافظ إمام أئمة وقته وأستاذ علماء عصره وقدوة أهل السنة في زمانه[٦] ، والدته كانت من ذرية طلحة بن عبيد الله[٧] ، وكان أئمة بغداد يقولون : ما رحل الى

---

(٢) ابن شبرمة : محمد بن الحجاج بن جعفر بن إياس يزيد بن الضبي قال : هو عبد الله بن شبرمة بن عمر بن شبرمة بن الطفيل بن حسان من ضرار بن عمرو بن يزيد بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن سعيد بن ضبة بن أد ، ولاه يوسف بن عمر القضاء على الكوفة ، ثم بعثه الى سجستان فاستقضى ابن أبي ليلى ، حدث عن أنس بن مالك وطائفة ، وحدث عنه الثوري والحسن بن صالح وغيرهم ، توفي سنة أربع وأربعين ومائة . الضبي ، أبو بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي البغدادي (ت،٣٠٦هـ/٩٢٦م) ، أخبار القضاة ، صححه وعلق عليه : عبد العزيز مصطفى المراغي ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة ، ١٩٤٧م) ، ج٣ ، ص٣٦-٣٧ .

(٣) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٢٧٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٣٣ ، ص٢٧٦ .

(٥) ابن نقطة ، التقييد ، ص٢٠١ .

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص٨٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢٠ ، ص٨١ .

(٣) طلحة بن عبيد الله : طلحة بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي التيمي المكي أبو محمد ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، له أحاديث عن النبي ﷺ ، وله في مسند بقي بن مخلد ثمانية وثلاثون حديثاً ، وكان ممن سبق الى الإسلام وأوذي في الله ، كان غائباً عن غزوة بدر لتجارة في الشام فضرب له الرسول ﷺ بسهم وأجره وقى رسول الله ﷺ بيده في يوم أُحد عن سهم أتى النبي ﷺ وقد شلت يده من ذلك السهم ، سماه

بغداد بعد الإمام احمد أفضل ولا أحفظ من إسماعيل ، له التفسير في ثلاثين مجلداً سماه الجامع ، وله تفسير آخر في أربع مجلدات ، وله الموضح في التفسير في ثلاث مجلدات ، وكتاب المعتمد في التفسير عشر مجلدات ، وكتاب السنة مجلد ، وكتاب سير السلف مجلد ضخم ، وكتاب المغازي مجلد[١] وغيرها من الكتب الكثير ، وكان الحافظ ابن عساكر يثني عليه ، وكان عارفاً بالمتون والأسانيد أملى قرابة ثلاثة آلاف مجلس يقول أبو عامر العبدري : ما رأيت شيخاً ولا شاباً قط مثله ذاكرته فرأيته حافظاً للحديث عارفاً بكل علم متفنناً ، توفي سنة خمس وثلاثين وخمسمائة[٢] ، وهو من الموارد المدونة لبن عساكر في خلافة عبد الله بن هارون المأمون وجاءت : حدثنا أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل إملاءً ، وتفيد الرواية الى أن المأمون قال ليحيى بن أكثم : إني أريد أن أحدث ، فقال له يحيى : ومن أولى بهذا من أمير المؤمنين ، فقال : ضعوا لي منبراً بالحلبة فصعد المنبر وحدث[٣] ، فأول حديث حدث به عن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : " امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء الى النار " ، ثم حدث بنحو ثلاثين حديثاً ثم نزل[٤] ، وهذا يشير الى أن المأمون له في كل علم نصيب وقد بينا ذلك سابقاً .

٧ . أبو الوفاء حفاظ بن الحسن بن الحسين (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م) :

هو حفاظ بن الحسن بن الحسين الغساني أبو الوفاء من أهل دمشق[٥] ، شيخ صالح مستور ، قال الحافظ ابن عساكر : أن أبا محمد عبد العزيز بن احمد بن محمد

رسول الله ﷺ يوم أُحد بطلحة الخير ، وفي غزوة ذي العشيرة طلحة الفياض ، ويوم خيبر طلحة الجود ، وقد قيل فيه شعراً :

وطلحة يوم الشعب آسى محمداً ... لدى ساعةٍ ضاقت عليه وسدّتِ

وقاه بكفيه الرماح فقطعت ... أصابعه تحت الرماح فشلتِ

وكان إمام الناس بعد محمد ... أقرّ رحا الإسلام حتى استقرتِ

ولد طلحة في حياة النبي ﷺ وقتل يوم الجمل سنة ست وثلاثين . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١ ، ص٢٣-٤٠ .

(٤) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص٨٣-٨٤ .

(٥) ابن كثير ، طبقات الشافعيين ، تحقيق : احمد عمر هاشم ومحمد زينهم محمد عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، (بلام ، ١٩٩٣م) ، ص٥٩٣-٥٩٤ .

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٢٨٨-٢٨٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣٣ ، ص٢٨٨-٢٨٩ .

(٣) السمعاني ، المنتخب من معجم شيوخ السمعاني ، ص٧٦٣-٧٦٤ .

الكتاني[١] الحافظ أجاز جميع مسموعاته لأهل دمشق ، وهذا الشيخ كان من جملتهم قرأ ابن عساكر أحاديث عنه[٢] ، وقرأ عليه أشياء بإجازة عبد العزيز بن احمد الكتاني ، توفي يوم الجمعة من سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة من يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب[٣] ، ودفن في مقبرة الفراديس[٤] ، وذكر ابن عساكر مورده المدون عن خلافة عبد الله بن هارون المأمون بلفظ : أخبرنا أبو الوفاء حفاظ بن الحسن بن الحسين فيما قرأت عليه عن أبي محمد عبد العزيز بن احمد ، وتفيد الرواية : أن الحسن بن سهل كان مألفاً للأدباء وكان له مجلس ينتابه فيه أهل الأدب ، وكان من أهل الأدب رجل يأتيه قال : فلما تهيأ عرس يوران أهدى الناس الى الحسن بن سهل ، وكان ذلك الرجل فقيراً لا يستطيع أن يهدي كما يهدي غيره لفقره ، فأهدى مزودين في أحدهما ملح طيب وفي الآخر اشنان طيب وكتب إليه جعلت فداك خفة البضاعة قصرت بعد الهمة وكرهت أن تطوى صحيفة أهل البر ولا ذكر لي فيها ، فوجهت إليك بالمبتدأ به ليمنه وبركته وبالمختوم له لطيبه ونظافته وكتب إليه في أسفل رقعته :

بضاعتي تقصر عن همتي ... وهمتي تقصر عن مالي
فالملح والاشنان يا سيدي ... أحسن ما يهديه أمثالي[٥]

---

(٤) عبد العزيز بن احمد بن محمد الكتاني : هو عبد العزيز بن احمد بن محمد بن علي بن سلمان بن عبد العزيز أبو محمد الكتاني الحافظ الصوفي ، سمع من ابي القاسم تمام بن محمد بن عبد الله الرازي وغيره ، وسمع منه أبو بكر الخطيب وابن ماكولا ، وكان ثقة فاضلاً ، توفي سنة ست وستين وأربعمائة . ابن نقطة ، التقييد ، ص٣٦٣ .

(٥) السمعاني ، المنتخب من معجم شيوخ السمعاني ، ص٧٦٣-٧٦٤ .

(٦) المصدر نفسه ، ص٧٦٤ .

(٧) باب الفراديس : وهو أحد أبواب دمشق الثمانية والتي منها باب الفراديس وباب الجابية والباب الصغير وفيما بين هذين البابين مقبرة فيها العدد الجم من الصحابة والشهداء ، وقد أحسن بعض المتأخرين قوله :

دمشق في أوصافها ... جنة خلد راضية
أما ترى أبوابها ... قد جعلت ثمانية

ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم أبو عبد الله (ت،٧٧٩هـ/١٣٧٧م) ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروف برحلة ابن بطوطة ، دار الشرق العربي ، ج١ ، ص٧٤ .

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٣١٩-٣٢٠ .

فأخذ الحسن المزودين ودخل بهما على المأمون فاستحسن ذلك وأمر بالمزودين ففرغا وملئا دنانير[١] .

٨ . أبو الحسن علي بن سهل[٢] :

لم تزودنا المصادر التاريخية بترجمة وافية إلا ما ذكره الحافظ ابن عساكر في صحيحه برواية أوردها ومن خلالها نتعرف عليه بأنه : علي بن سهل بن محمد بن علي بن حامد أبو الحسن بن أبي الفتح بن أبي بكر الشاشي[٣] مدرس النظامية[٤] بهراة ، ذكره ابن عساكر بروايته : أخبرنا أبو الحسن أن المأمون قال لمحمد بن عباد بن عباد المهلبي[٥] : يا أبا عبد الله قد أعطيتك ألف ألف وألف وألف الف وعليك دين إن فيك مسرفاً ، قال : يا أمير المؤمنين إن منع الموجود سوء الظنّ بالمعبود ، وقال المأمون : أحسنت يا محمد أعطه ألف ألف وألف ألف وألف ألف[٦] ، إن هذا العطاء على الرغم من كثرته فقد يتبادر للذهن انه مبالغ فيه ولكن إذا ما قورن بنصوص عديدة يتبين أن ذلك كان سجية لدى المأمون وهو مجبول عليه وكذا من كان قبله من خلفاء بني العباس فهو يقول : " إني بسط للناس في الكلام وأذنت لهم عليَّ وجعلت حوائجهم بيني وبينهم

---

(٢) المصدر نفسه ، ج٣٣ ، ص٣٢٠ .

(٣) لم نقف على تاريخ وفاته في المصادر التاريخية .

(٤) ابن عساكر ، معجم ابن عساكر ، ج٢ ، ص٧١٨ .

(٥) المدرسة النظامية : وهي أشهر ما بني في القديم ببغداد لأنها أول مدرسة قرر بها للفقهاء معاليم وهي منسوبة الى الوزير نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الطوسي ، وشرع في بنائها سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، ودرس فيها أبو إسحاق الشيرازي الفيروز آبادي صاحب كتاب التنبيه في الفقه على مذهب الإمام الشافعي . المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ج٤ ، ص١٩٩ .

(١) محمد بن عباد بن عباد المهلبي : السيد الجواد حاتم زمانه أمير البصرة ابن محدث البصرة عباد بن عباد بن حبيب بن الأمير المهلب بن أبي صفرة الأزدي المهلبي ، قال المأمون لمحمد بن عباد : أردت أن أوليك فمنعني إسرافك ، قال : منع الجود سوء ظنّ بالمعبود ، وكان قد جاءته أموالاً كثيرة فما ذخر منها شيئاً ، قال له المأمون : بلغني أنه لا يقدم أحد البصرة إلا اضفته؟ فقال قولته المشهورة هذه فاستحسنه المأمون وأعطاه نحو ستة آلاف درهم ، توفي محمد وعليه دين خمسون ألف دينار ، وقيل للعتبي مات محمد فقال :

نحن متنا بفقده ... وهو حيٌّ بمجده

توفي سنة عشرة ومائتين . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص١٨٩-١٩٠ .

(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٣١٩ .

لتصل إليَّ أخبارهم وأعرف مبلغ عقولهم وأعطي كل امرئ على قدره فيكون كل إنسان وجميل حاجته ولسان طلبته خارجاً عن يدي شكله والطلب الى مبلغ ولو جعلت ذلك الى أحد لضاق على الرعية المذهب وخفيت عليَّ أمورهم "[١] .

ثانياً . الموارد الشفهية :

١ . أبو تراب حيدرة بن احمد (ت٥٠٦هـ/١١١٢م)

هو حيدرة بن احمد بن الحسين أبو تراب الأنصاري المقرئ المعروف بالخروف[٢] ، حدث عن أبي بكر الخطيب بسنده عن ابن عمر[٣] قال : رأيت رسول الله ﷺ يتيمم بموضع يقال له مريد النعم[٤] وهو يرى بيوت المدينة ، وكانت وفاته سنة ست وخمسمائة وخمسمائة ودفن يوم الأحد الحادي عشر من شهر ربيع الآخر[٥] ، ودفن بباب الفراديس[٦] ، وتعتبر رواية أبو تراب من الروايات الشفهية التي أفاد بها الحافظ ابن عساكر ، وتشير الرواية : أن أمير المؤمنين عبد الله بن هارون في سنة خمس عشرة ومائتين غزا فافتتح قرة[٧] وحصوناً معها على صلح فأخرجهم منها وخربها منها حربلة ووجدهم قبل أن يتحصنوا فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم ونزل وهدم الحصن وخربه وحصناً يقال له : لاما ، فاستنزل أهله بالأمان على أنفسهم وأموالهم وهدم الحصن وخربه وحصناً آخر يقال له : زلزلن وغيره من الحصون التي افتتحها الخليفة عبد الله بن هارون

---

(٣) ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ج١٤ ، ص١٠٨ .

(٤) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١٥ ، ص٣٧٨ .

(٥) ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ، ج٧ ، ص٢٩٣ .

(٦) مريد النعم : موضع على ميلين من المدينة وفيه تيمم ابن عمر ، قال الأصمعي : المريد كل شيء حبست فيه الإبل ولهذا قيل : مريد النعم بالمدينة . الحموي ، معجم البلدان ، ج ، ص٩٨ .

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١٥ ، ص٣٧٩ .

(٢) باب الفراديس : وهو غربي حلب أنشأه الملك الظاهر غازي وبنى عليه أبراجاً عالية ، ثم سد بعد وفاته الى أن فتحه ابن ابنه الملك الناصر . الغزي ، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الشهير بالغزي (ت،١٣٥١هـ/١٩٣٢م) ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، دار القلم ، ط٢ ، (حلب ، ١٤١٩هـ) ، ج٢ ، ص١١ .

(٣) قرة : دير قرة سمي برجل من إياد يسمى قرة وهو بإزاء دير الجماجم هذا قول ابن شبه ، وقال الأصبهاني : قرة الذي بناه رجل من لخم بناه أيام ملك المنذر وهو ملاصق لطف البر ودير الجماجم مما يلي الكوفة . البكري ، معجم ما استعجم ، ج٢ ، ص٥٩٢-٥٩٣ .

المأمون[١] ، وهذا ما يبين أن الخليفة المأمون كان مهتماً بكافة أمور الخلافة الإسلامية ، فهو ما بين علم ومناظرة وما بين غزو وضرب بالسيف ما يشير الى الفتوحات الإسلامية في زمن خلافته ومن سبقه ومن آتى بعده .

٢ . أبو الفرج غيث بن علي (ت٥٠٩هـ/١١١٥م)

هو غيث بن علي بن عبد السلام الإمام العالم[٢]خطيب صور[٣] ومحدثها ، سمع الكثير من العلماء مثل أبو بكر الخطيب وعلي بن عبيد الله الهاشمي وغيرهم ، زكان ثقة حسن الخط ، روى عنه شيخه الخطيب وابن عساكر ، توفى أبو الفرج في سنة تسع وخمسمائة وقد ناهز عن ست وستين سنة[٤] ، وتفيد الرواية : أن المأمون بعث رسولاً الى الى من يهواه وقال له : تساره بكذا وكذا ، فقال :

بعثتك مشتاقاً فقزت بنظرة ... واغفلتني حتى أسأت بك الظنا
وناجيت من أهوى وكنت مقرباً ... فياليت شعري عن سرارك ما أغنا
ونزهت طرفاً في محاسن وجهها ... ومتعت باستماع نغمتها غذنا
أرى أثراً منها بوجهك لم يكن ... لقد سرقت عيناك من حسنها حسنا

في هذه الرواية نرى أن المأمون شاعراً وهذا ما هو مشهور عنه لاسيما أنه بارع في علوم شتى ومنها معرفته بالشعر وفنونه .

٣ . أبو الحسن علي بن الحسن الموازيني (ت٥١٤هـ/١١٢٠م)

أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسين بن علي السلمي الدمشقي بن الموازيني ، شيخ عالم مقرئ مسند كان من شيوخ دمشق ، سمع من أبي علي احمد وأبي علي الاهوازي وغيرهم ، تفرد وعلا إسناده ، وكان ممن حدث عنه الحافظ ابن عساكر وحفيده احمد بن حمزة بن الموازيني وخلق[٥] ، قال فيه السلفي : حسن الأخلاق مرضي الطريقة

---

(٤) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٣٠١-٣٠٢ .

(٥) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص٣٨٩ .

(٦) صور : بالضم ثن السكون وأخره راء ، مدينة مشهورة عظيمة القدر كانت من ثغور المسلمين مشرفة على بحر الشام داخلة في البحر مثل الكف على الساعد يحيط بها البحر من جميع جوانبها إلا الربع الذي منه شروع بابها ، وهي حصينة جداً لا سبيل إليها إلا بالجد لأن بينها وبين عكا ستة فراسخ شرقي عكا . ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج٢ ، ص٨٥٦ .

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص٣٨٩ .

(٢) المصدر السابق ، ج١٩ ، ص٤٣٧-٤٣٨ .

، وقال فيه الحافظ ابن عساكر : شيخ مستور ثقة حافظ للقرآن الكريم ، سمع منه الحافظ أجزاء ، توفي سنة أربع عشرة وخمسمائة ، وتفيد الرواية التي أوردها ابن عساكر مفادها : أن يحيى بن أكثم أورد قوله : أنبأنا المأمون ، أنبأنا هشيم ، عن منظور ، عن الحسن بن أبي بكرة قال : قال رسول الله ﷺ : " الحياء من الإيمان "[١] .

وهذا يبين أن المأمون كان ممن يحفظ الحديث النبوي الشريف ويعنى به وقد بينا ذلك في علمه بالحديث النبوي الشريف في فصل سابق .

٤ . عبد الله بن عبد الرزاق (ت٥٢٨هـ/١١٣٣م)

لم تزودنا المصادر التاريخية بمعلومات وافية عن حياته سوى ما ذكره السبكي أنه كان يدرس بجامع ذي أشرق وعليه دارت الفتيا في أيامه ، وسمع عبد الملك بن أبي ميسرة ، مات سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وله ست وستون سنة[٢] ، جاء مورد ابن عساكر يشير الى أن المأمون ولي سنة ثمان وتسعين ومائة ، ومات بالبذندون ودفن بطرسوس[٣] .

٥ . أبو الحسن علي بن احمد بن منصور (ت٥٣٠هـ/١١٣٥م)

علي بن احمد بن منصور بن محمد بن عبد الله بن محمد أبو الحسن بن أبي العباس الغساني المعروف بابن قبيس ، كان منقطعاً عن الناس ملازماً لبيته في درب النقاشة ومتخلياً في بيته في المنارة الشرقية ، وسمع من أبيه وأبي بكر الخطيب وغيرهم من طبقته ، كان ثقة ، توفي يوم عرفة التاسع من ذي الحجة سنة ثلاثين وخمسمائة[٤] ، ودفن بالباب الصغير[٥] ، وكانت الرواية ومفادها أوصاف المأمون وأنه : كان أبيض

---

(٣) مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ/٨٧٤م) ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل الى رسول الله ﷺ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، د.ت) ، ج١ ، ص٦٣ .

(١) السبكي ، طبقات الشافعية ، ج٧ ، ص١٢٥ .

(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٢٨١ .

(٣) القفطي ، أنباه الرواة على أنباه النحاة ، ج٢ ، ص٢٣٢ .

(٤) الباب الصغير : وهي إحدى أبواب مدينة دمشق الثمانية والتي منها باب الفراديس ومناها باب الجابية ومنها الباب الصغير وفيما بين هذين البابين مقبرة فيها العديد من الصحابة والشهداء . ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ج١ ، ص٣١٩ .

ربعة حسن الوجه قد خطه الشيب يعلوه صفرة أعين طول اللحية رقيقها ضيق الجبين على خده خال يكنى أبا العباس ، أمه أو أم ويقال لها : مراجل[١].

٦ . أبو الحسن علي بن المسلم (ت٥٣٣هـ/١١٣٨م)

علي بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح أبو الحسن السلمي الدمشقي الفرضي جمال الإسلام ، كان فقيهاً تفقه على القاضي أبي المظفر عبد الجليل بن عبد الجبار المروزي ، لزم الغزالي وكان أمره بالتصدر بعد موت الشيخ نصر رحمه الله تعالى بارعاً في المذهب[٢] ، ودرس في الأمينية[٣] سنة عشرة وخمسمائة ، وروى عنه الحافظ ابن عساكر والسلفي ، وأملى مجالس ، وكان يقول فيه الغزالي كما أخبر ابن عساكر : خلقت بالشام شاباً إن عاش كان له شأن ، فكان كما تفرس به ، وكان ثقة عالماً بالمذهب والفرائض ويحفظ كتاب التجريد لأبي حاتم القزويني[٤] ، يكثر من عيادة المرضى وشهود الجنائز ملازماً للتدريس عالماً بالتفسير والفرائض والحساب وتعبير المنامات ، توفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ساجداً في صلاة الفجر[٥] ، وأورد ابن عساكر عن الرواية والتي والتي تشير : أن المبرد قال : أنشد المأمون بيت أبي العتاهية :

تعالى الله يا سلم بن عمرو ... أذل الله أعناق الرجال

فقال : الحرص مفسدة للدين والله ما عرفت من أحد قط حرصاً أو شرها فرأيت فيه مصطلحاً[٦] .

٧ . أبو إسحاق إبراهيم بن طاهر بن بركات (ت٥٣٤هـ/١١٣٩م) :

---

(٥) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٢٨٣ .

(١) ابن كثير ، طبقات الشافعيين ، ج١ ، ص٦٠٣ .

(٢) الأمينية : هي المدرسة الأمينية وهي قبل باب الزيادة من أبواب الجامع الأموي المسمى قديماً بابا الساعات لأنه كان هناك مكان للساعات يعلم منها كل ساعة تمضي من النهار ، وكانت هناك دار مسلمة بن عبد الملك ، وكانت هذه المدرسة من سوق السلاح ، وقيل : أنها أول مدرسة بنيت للشافعية وقد أوقفها أمين الدولة . بدران ، منادمة الأطلال ، ص٨٦ .

(٣) أبو حاتم القزويني : محمود بن الحسن العلامة أبو حاتم القزويني الطبري الفقيه المتكلم من أعيان الشافعية ، درس الفرائض على ابن اللبان ، كان حافظاً للمذهب والخلاف وصنف كتباً كثيرة ، ذكره الذهبي فيمن توفي سنة ست وأربعمائة . ابن كثير ، طبقات الشافعيين ، ج١ ، ص٤٣٧ .

(٤) ابن كثير ، طبقات الشافعيين ، ج١ ، ص٦٠٤ .

(٥) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٣١٥-٣١٦ .

هو أبراهيم بن طاهر بن بركات بن إبراهيم بن علي بن محمد بن احمد بن العباس بن هاشم أبو اسحاق القرشي المعروف بالخشوعي الرفاء الصواف ، قال الحافظ ابن عساكر : كان ثقة خيراً كتبت عنه ، سمع من الكثير منهم أبو القاسم بن أبي العلاء وغيره كثير ، يقول الحافظ : أخبرنا أبو إسحاق أبراهيم بن طاهر بقراءتي عليه أكثر من مرة ، ومما ذكر في سلسلة حديث ذكره الحافظ[١] ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : " مطل الغني ظلم وإذا أحلت على ملئ فاتبعه ولاتبع بيعتين في بيعة "[٢] ، توفي إبراهيم بن طاهر الخشوعي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة[٣] ، يقول ابن عساكر : وشهدت دفنه بباب الفراديس ، وأورد الحافظ ابن عساكر من خلال هذا المورد في بعث المأمون رسولاً الى من يهواه[٤] ، وقد ذكرنا الرواية في موضع سابق من ترجمة أبي الفرج الفرج غيث بن علي .

٨ . أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد (ت٥٣٥هـ/١١٤٠م) :

عبد الرحمن بن المحدث أبي غالب محمد بن عبد الواحد بن حسن بن منازل بن زريق الشيباني البغدادي الحريمي القزاز أبو منصور راوي تاريخ الخطيب عنه شيخ جليل ثقة ، حدث عنه الحافظ ابن عساكر والسمعاني وابن الجوزي[٥] ، وحدث عنه بالاجازة المؤيد الطوسي[٦] ، صحيح السماع أثنى عليه السمعاني فقال : كان شيخاً صالحاً متوداً سليم القلب حسن الأخلاق صبوراً مشتغلاً لما يعنيه ، توفى سنة خمس وثلاثين

---

(٦) المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٤٢٠-٤٢١ ؛ معجم ابن عساكر ، ج١ ، ص١٤٢ .

(١) الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت،٢٧٩هـ/٨٩٢م) ، سنن الترمذي ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، د.ت) ، ج٣ ، ص٥٩٢ .

(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦ ، ص٤٥٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٣٣ ، ص٣٣١ .

(٤) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص٦٩-٧٠ .

(٥) المؤيد الطوسي : المؤيد بن محمد بن علي ابو الحسن الطوسي النيسابوري مسند خراسان الشيخ الإمام المقرئ المعمر ، ولد سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، سمع صحيح مسلم من الفراوي ، وسمع صحيح البخاري من وجيه بن طاهر ، والموطأ من هبة الله السّيدي ، ثقة خيراً مقرئاً جليلاً ، حدث عنه الكثير منهم : العلامة جمال الدين محمد بن الحصيري وغيره ، أجاز له من بغداد قاضي المارستان وأبو منصور القزاز ، توفي سنة سبع عشرة وستمائة . ابن نقطة ، التقييد ، ص٤٥٦ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٢ ، ص١٠٤-١٠٦ .

وخمسمائة[١] ، ذكر الحافظ ابن عساكر في مورده هذا من خلال الرواية : أن المأمون أشرف ليلة في موضع كان به على الحرس فقال : هل فيكم من ينشد لأبي نؤاس أربعة أبيات؟ فقال غلام من الحرس أو من أبناء الحرس ، فقال : يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك ، قال : هات فأنشده :

لا تبكِ ليلى ولا تطرب الى هند ... وأشرب على الورد من حمراءٍ كالورد
كأساً إذا انحدرت من حلق شاربها ... أجدته حمرتها في العين والخد
فالخمر ياقوتة والكأس لؤلوة ... في كف لؤلوة ممشوقة القد
شقيك من عينها خمراً ومن يدها ... خمراً فمالك من سكرين من بد
لي نشوتان وللندمان واحدةٌ ... شيء خصصت به من بينهم وحدي

فقال المأمون : هذا والله الشعر[٢] ، لأقول الذي يقول : إلا هبي بسلحك فابطحينا[٣] ، وأمر للغلام بأربعة آلاف درهم[٤] ، يجتمع في الرواية أمران : الأول معرفة المأمون بالشعر وما يتطلبه من أوزان وقوافي ومعانٍ ، والثاني كرم المأمون وعطاءه لمن يحسن بين يديه .

٩ . أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م) :

عبد الوهاب بن المبارك بن احمد بن الحسن بن بندار الأنماطي الحافظ النهري[٥] البنداري شيخ حافظ ثقة المسند بقية السلف ، كانت ولادته سنة اثنتين وستين وأربعمائة ، سمع الجعديات من الصريفيني وسمع من ابن النقور وغيرهم ، وحدث عنه ابن ناصر والسلفي وابن عساكر والسمعاني ، وصفه السمعاني بأنه واسع الرواية حافظ متقن دائم البشر سريع الدمعة حسن المعاشرة ، جمع المرويات وخرج التخاريج وكان متصدراً لنشر

---

(٦) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص٧٠ .

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٢٩٩-٣٠٠ .

(٢) يقصد بذلك قول عمرو بن كلثوم في معلقته : ألا هبي بصحنك فاصبحينا // ولا تبقي خمور الأندرينا . القرشي ، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب (ت،١٧٠هـ/٧٨٦م) ، جمهرة أشعار العرب ، تحقيق وضبط وشرح : علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، (القاهرة ، د.ت) ، ص٢٧٢ .

(٣) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٣٠٠ .

(٤) ابن نقطة ، التقييد ، ص٣٧١ .

الحديث ، وقال السلفي : بأنه حافظاً ثقة لديه معرفة جيدة وكان بغية الشيوخ ولم يتزوج قط ، نسخ الكتب الكبار مثل الطبقات لابن سعد وتاريخ الخطيب ، وكان متفرغاً للرواية ، وكان لا يجوز الإجازة على الإجازة ، يقول ابن الجوزي : قرأت عليه وهو يبكي فاستفدت من بكائه أكثر من استفادتي بروايته وانتفعت به ما لم انتفع بغيره ، وكان حافظ عصره ببغداد ، مات في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة[١] ، كتب بخطه الكثير وسمع العالي والنازل وقرأ على أبي الحسين الطيوري[٢] جميع ما عنده[٣] ، وذكر ابن عساكر الرواية من خلال مورده : أن خالد بن يحيى البرمكي يقول : قال لي المأمون : يا يحيى اغتنم قضاء حوائج الناس فإن الفلك أدور والدهر أجور من أن يترك لأحد حالاً أو يبقى لأحد نعمة[٤] .

١٠ . علي بن زيد بن علي (ت٥٣٩هـ/١١٤٤م) :

هو علي بن زيد بن علي أبو الحسن السلمي المؤدب ، وكان يؤدب في مسجد السلالين رأس درب التبان ، وحفظ جماعة القرآن ، صلى نحو خمسين سنة بمسجد درب الحجر احتساباً عفيفاً مستوراً ، قال الحافظ ابن عساكر : كتبت عنه روى بسنده حديثاً عن رسول الله ﷺ [٥] بما رواه أبو هريرة قال : " أوصاني خليلي رسول الله ﷺ بثلاث لا أدعهنَّ سبحة الضحى[٦] في الحضر والسفر وأن أصوم ثلاثة أيام من كل شهر وقال : إنه صيام الدهر ، وأن لا أنام إلا على وتر "[٧] وذكر ابن عساكر أن ولادته كانت سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ، ومات ليلة الجمعة من سنة تسع وثلاثين وخمسمائة في

---

(٥) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص١٣٤-١٣٥ .

(١) أبو الحسين الطيوري : شيخ مستور مكثر ثقة ، مات سنة خمسمائة ببغداد . الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج٣ ، ص٤٣١ .

(٢) ابن رجب الحنبلي ، زين الدين عبد الرحمن بن احمد البغدادي (ت،٧٩٥هـ/١٣٩٢م) ، ذيل طبقات الحنابلة ، تحقيق : عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط١ ، (الرياض ، ٢٠٠٥م) ، ج١ ، ص٤٥٥.

(٣) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٣١٤-٣١٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٤١ ، ص٥٠٣ ؛ معجم ابن عساكر ، ج٢ ، ص٧١٧ .

(٥) سبحة الضحى : المقصود بها صلاة الضحى وهي ثمان ركعات كما في الحديث عن أم هانئ بنت أبي طالب : " أن رسول الله ﷺ يوم الفتح صلى سبحة الضحى ثمان ركعات ثم سلم من كل ركعتين " . ابن ماجة ، أبو عبد الله بن يزيد القزويني (ت ، ٢٧٣هـ/٨٨٦م) ، سنن ابن ماجة ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ط١ ، دار الجيل ، (بيروت ، ١٩٩٨م) ، ج١ ، ص٤١٩ .

(٦) البخاري ، صحيح البخاري ، ج٣ ، ص٤١ .

السابع من ذي القعدة ودفن يوم الجمعة بمقبرة باب الصغير ، وحضر دفنه الحافظ رحمه الله تعالى[١] ، جاءت الرواية من خلال المورد الذي أخذ منه الحافظ ابن عساكر تبين ولاية عبد الله بن هارون المأمون سنة ثمان وتسعين ومات بالبذندون ودفن بطرسوس[٢] .

١١ . أبو النضر عبد الرحمن بن عبد الجبار (ت٥٤٦هـ/١١٥١م) :

إمام محدث حافظ هو أبو النضر عبد الرحمن بن عبد الجبار[٣] بن عثمان بن منصور الهروي الفامي الشروطي العدل ، سمع الكثير من العلماء منهم أبو إسماعيل الأنصاري وطبقته ، أرتحل في كهولته للحج ، حدث عنه الحافظ ابن عساكر والسمعاني وجماعة ، وصفه السمعاني بأنه حسن السيرة جميل الطريقة كثير الصدقة والصيام دائم الذكر متواضعاً له معرفة بالحديث والأدب يكرم الغرباء ويفيدهم عن الشيوخ ثقة مأموناً ، كان الحافظ ممن كتب عنه ، لقب بثقة الدين وله تاريخ صغير ، ولد سنة اثنين وسبعين وأربعمائة ، وتوفي سنة ست وأربعين وخمسمائة في الخامس والعشرين من ذي الحجة[٤] ، ذكر الحافظ ابن عساكر روايته من خلال المورد الذي أخذ منه ، وتشير الرواية الى أن المأمون أعطى محمد بن عباد بن عباد المهلبي مالاً ، وأنه عليه دين وأنه فيه سرفاً مما جعله يقول للمأمون : إن منع الموجود سوء الظن بالمعبود ، وقد استحسن المأمون كلامه وزاد في عطائه[٥] .

١٢ . أبو القاسم عبد الملك بن عبد الله بن عمر (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) :

هو عبد الملك بن عبد الله بن عمر بن محمد بن عبد الله بن عمر بن محمد بن جعفر بن محمد بن حفص بن بكر بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي العمري الهروي أبو القاسم[٦] ، سكن إجازة بليدة بخايران شريفاً فاضلاً حسن السيرة مليح الأخلاق يحفظ الحكايات وأيام الناس ، وكان يعظ ويحفظ متواضعاً ، قال السمعاني : كتبت عنه وقرأت عليه أجزاء ، سمع الكثير من الشيوخ في وقته مثل أبو

---

(٧) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٤١ ، ص٥٠٣

(٨) المصدر نفسه ، ج٣٣ ، ص٢٨٠-٢٨١ .

(١) ابن نقطة ، التقييد ، ص٣٤٢ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص٢٩٧-٢٩٨ .

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص٢٩٧-٢٩٨ .

(٣) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٣١٩ .

(٤) السمعاني ، المنتخب من معجم شيوخ السمعاني ، ص١١٢٣ .

سهل نجيب بن ميمون الواسطي[١] وغير الكثير ، ولد سنة إحدى وسبعين وأربعمائة وتوفي بالدانقان متوجهاً[٢] الى خاوران[٣] بعد أن عوقب في وقعة الغز في شعبان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة[٤] ، أورد ابن عساكر من خلال هذا المورد ما بيناه في ترجمة أبو النضر عبد الرحمن بن عبد الجبار ، وتشير الرواية الى إعطاء المأمون لمحمد بن عباد بن عباد المهلبي مالاً وقضاء دين عنه كما أورد ذلك الحافظ ابن عساكر[٥] .

١٣ . أبو سعد محمد بن احمد بن محمد بن الخليل (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) :

محمد بن احمد بن محمد بن الخليل بن احمد أبو سعد الخليلي النوقاني ، سمع من أبي بكر بن خلف الشيرازي ، وروى عنه عبد الرحيم بن السمعاني ، توفي بنوقان في أواخر المحرم سنة ثمان وأربعين وخمسمائة[٦] ، هذا ما زودتنا به المصادر التاريخية حيث لم تكن الترجمة وافية ، وأورد له الحافظ ابن عساكر رواية بسنده ، وتشير أن قيل للمأمون يوماً : يا أمير المؤمنين لو تصيب للناس رجلاً وأقمته لحوائجهم فساعدتهم واقتصرت عليه بينك وبين الرعية ولم تشغل نفسك بالاستماع الى كل داخل ، فقال المأمون : إن بسطت للناس في الكلام وأذنت لهم عليَّ وجعلت حوائجهم بيني وبينهم لتصل الى أخبارهم وأعرف مبلغ عقولهم وأعطي كل امرءٍ منهم على قدره فيكون كل إنسان حميل حاجته ولسان طلبته[٧] خارجاً عن يدي شكله والطلب إليَّ مبلغ ولو جعلت الى ذلك أحد لضاق على الرعية المذهب وخفيت عليَّ أمورهم وحبست عني أخبارهم وموطلوا بحوائجهم وتآمر عليهم غيري وكان الحمد والمن لواحد في زمانهم دوني أوليائي

---

(٥) أبو سهل نجيب بن ميمون الواسطي : كان ممن سمع من عبد الجبار بن محمد الجراحي وآخرين ، قال أبو عبد الله الحسين بن محمد الكتبي في تاريخه : توفي أبو سهل نجيب بن ميمون الواسطي المحدث بهراة يوم الثلاثاء ثاني عشر شهر رمضان من سنة ثمان وثمانين وأربعمائة . ابن نقطة ، التقييد ، ص٤٧٠ .

(١) السمعاني ، المنتخب من معجم شيوخ السمعاني ، ص١١٢٣ .

(٢) خاوران : ناحية ذات قرى بخراسان بها خيرات كثيرة وينسب إليها الوزير أبو علي بن شاذان ، كان وزيراً لملوك بني سامان وبقى بالوزارة مدة طويلة حتى يوزر الآباء والأبناء . المقريزي ، آثار البلاد ، ص٣٦٠ .

(٣) السمعاني ، المنتخب من معجم شيوخ السمعاني ، ص١١٢٣ .

(٤) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٣١٩ .

(٥) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج٦ ، ص٨٥ .

(٦) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٣٠٧ .

وخفت مع هذا أن لو نصبت لهم رجلاً لا اشكر على صنيعة فينسون نعمتي أوليائي ويستعبدهم غيري فأكون قد صيرت أحراراً أرقاء[١] .

١٤ . أبو طاهر محمد بن عبد الله السنجي (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)

هو محمد بن محمد بن عبد الله بن أبي سهل أبو طاهر السنجي[٢] خطيب مرو وعالمها ومحدثها الشيخ الحافظ الإمام ، سمع من الكثير من العلماء الكبار ومنهم إسماعيل بن محمد الزاهري وطبقته ، وحدث عنه السمعاني وابن عساكر وجماعة ، ، كتب الكثير وحصل وألف وكان إماماً ورعاً مجتهداً متواضعاً سريع الدمعة كما وصفه السمعاني ، له معرفة بالحديث ثقة دين كثير التلاوة ، سمع منه عبد الرحيم السمعاني سنن النسائي عن الدوني ، وصحيح مسلم بروايته عن عبد الله بن احمد صاحب عبد الغافر الفارسي وغيرها من الكتب ، وكان يلي الخطابة في الجامع الأقدم ، توفى في التاسع والعشرين من شوال سنة ثمان وأربعين وخمسمائة[٣] ، ذكر الحافظ ابن عساكر في سنده من مورده هذا قال : كتب الرضا[٤] الى المأمون :

إنك في دار لها مدة ... يقبل فيها عمل العاملِ
أما ترى الموت محيطاً بها ... يقطع منها أمل الآمل
تعجل الذنب لما تشتهي ... وتأمل التوبة في قابل
والموت يأتي أهله بغتةً ... ماذا يفعل الحازم العاقل[٥]

١٥ . أبو غانم عبد الملك بن إسماعيل بن محمد[٦] :

---

(٧) المصدر نفسه ، ج٣٣ ، ص٣٠٧-٣٠٨ .

(١) ابن نقطة ، التقييد ، ص١٠٥ .

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص٢٨٤-٢٨٥ .

(٣) الرضا : أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين وهو أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الأمامية ، وكان المأمون زوجه ابنته أم حبيب في سنة اثنتين ومائتين وجعله ولي عهده وضرب أسمه على الدينار والدرهم ، لم يرَ المأمون أفضل منه في أولاد بني العباس وأولاد علي بن أبي طالب ﷺ فبايعه بعد أن جمعهم وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام الأمر الذي جعل بني العباس يخلعون المأمون بسبب ذلك ، توفي الرضا سنة ثلاث ومائتين بطوس وصلى عليه المأمون . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص٢٦٩-٢٧٠ .

(٤) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٣٣٣ .

(٥) لم تزودنا المصادر التاريخية بتاريخ وفاته .

لم تزودنا المصادر التاريخية عن ترجمة وافية عنه سوى ما ذكره ابن عساكر في معجمه برواية قال : أخبرنا عبد الملك بن إسماعيل بن محمد بن احمد بن نصرويه أبو غانم الاصبهاني بقراءتي عليه وذكر الرواية بسنده[١] عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : " مطل الغني ظلم وإذا أحلت على ملئ فاتبعه ولا تبع بيعتين في بيعة "[٢] ، أورد الحافظ ابن عساكر في مورده من خلال السند : أن المأمون صلى العصر في الرصافة في المقصورة يوم عرفة ، فلما سلم وكبر يقول جعفر بن أبي عثمان الطيالسي : فرأيت المأمون خلف الداربزين وعليه لمة بيضاء وهو يقول : لا يا غوغاء لا يا غوغاء عدا سنة أبي القاسم ﷺ ، فلما كان يوم الأضحى حضرت الصلاة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ، ثم ساق حديثاً للرسول ﷺ قوله : " من ذبح قبل أن يصلي فإنما هو لحم قدمه لأهله ومن ذبح بعد أن يصلي فقد أصاب السنة " ، الى أن قال اللهم أصلحني واستصلحني وأصلح على يدي[٣].

١٦ . أبو البركات احمد بن محمد بن الصفار[٤] :

الكثير من الشخصيات ممن لم تزودنا المصادر التاريخية بترجمة وافية لهم إلا ما وجد من خلال بعض الروايات ، فقد ذكر الحافظ ابن عساكر أبو البركات من خلال قوله : أخبرنا احمد بن محمد بن قيارة أبو البركات بقراءتي عليه ببغداد وذلك عن طريق سنده في الرواية[٥] الى أن قال : عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أقطع الأنصار أرضاً من من البحرين فقالوا : يا رسول الله أقطع أخواننا من المهاجرين ، فقال رسول الله ﷺ : " إنكم ستلقون أثره ما صبروا حتى تلقوني "[٦] ، وذكر ابن عساكر في مورده بسنده : أن المأمون قال ليحيى بن خالد البرمكي : اغتنم قضاء حوائج الناس لأن الفلك أدور والدهر أجور من أن يترك لأحد حالاً أو يبقى لأحد نعمة[٧] .

---

(١) ابن عساكر ، معجم ابن عساكر ، ج٢ ، ص٦٢٦ .

(٢) الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٣ ، ص٥٩٢ .

(٣) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٢٧٥-٢٧٦ .

(٤) لم نقف على تاريخ وفاته من المصادر التاريخية .

(٥) ابن عساكر ، معجم ابن عساكر ، ج١ ، ص١١٩ .

(٦) البخاري ، صحيح البخاري ، ج٥ ، ص٣٣ .

(٧) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٣ ، ص٣١٤-٣١٥ .

١٧ . أبو محمد عبد الرحيم بن محمد بن احمد الحداد[١] :

لم تزودنا المصادر التاريخية بمعلومات وافية عنه سوى ما ذكره السمعاني بأنه أبو محمد عبد الرحيم بن محمد بن الفضل بن محمد بن احمد الحداد الاصبهاني من أهل اصبهان[٢] ، سمع من الكثير ومنهم أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب[٣] التميمي وغيره[٤] ، وكان ابن عساكر قد ساق بسنده من خلال هذا المورد : أن إسحاق بن إبراهيم إبراهيم الموصلي قال : قال لي مخارق[٥] : أنشدت المأمون قول أبي العتاهية :

وإني لمحتاج الى كل صاحب ... يرق ويصفو إن كدرت عليه

قال لي : أعد فأعدت سبع مرات ، فقال لي : يا مخارق خذ مني الخلافة وأعطني هذا الصاحب لله در أبي العتاهية ما أحسن ما قال[٦] .

---

(١) لم نقف على تاريخ وفاته من المصادر التاريخية .

(٢) السمعاني ، المنتخب من معجم شيوخ السمعاني ، ص١٠٢٦ .

(٣) رزق الله بن عبد الوهاب : هو رزق الله بن عبد الوهاب التميمي البغدادي أديب شاعر مجيد ، قال ياقوت : لا أعرف من أمره غير هذا ، توفي ببغداد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، ومن شعره :

يأبى الحبيب زارني متنكراً ... فبدأ الوشاة له فولى معرضا
فكأنني وكأنه وكأنهم ... أمل ونيل حال بينهما القضا

الحموي ، معجم الأدباء ، ج٣ ، ص١٣٠٤ .

(٤) السمعاني ، المنتخب من معجم شيوخ السمعاني ، ص١٠٢٦ .

(٥) مخارق : أبو المهنى المطرب قدم دمشق مع المأمون ، وحكى عن الرشيد والمأمون والمعتصم وأبو العتاهية وإبراهيم بن ميمون وحماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي وغيرهم ، كان المأمون قد اشتهى من تمنائه فغناه :

كان ينهى فنهى حين انتهى ... وانجلت عنه غياب الصبى خلع الهم واصحى مسبلا
للنهى فضل قميص وردا ... كيف يرجو البيض من أوله
في عيون البيض شيب وجلا ... كان كحلاً فقد صار بالشيب لعينيها قذى

ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٥٧ ، ص١٣٢-١٣٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٣٣ ، ص٣١٦-٣١٧ .